20me. année No 989

Le Caire 16 — 6 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٨٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ رمضان سنة ١٣٧١ — ١٦ يونية سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

ضريبة الذل ...

الأستاذ سيد قطب

بعض النفوس الضعيفة يخيل إليها أن للكرامة ضريبة باهظة لا تطاق ، فتختار الذل والمهانة ، هربا من هذه التكاليف الثقال ، فتعيش عيشة تافهة رخيصة ، مفزعة قلقة ، تخاف من ظلها ، وتفرق من صداها ، يحسبون كل صيحة عليهم ، ولتجدنهم أحرص الناس على حياة !

هؤلاء الأذلاء يؤدون ضريبة أفدح من تكاليف الكرامة . إنهم يؤدون ضريبة الذل كاملة . يؤدونها من نفوسهم ، ويؤدونها من أقدارهم ، ويؤدونها من سمعتهم ، ويؤدونها من اطمئنانهم ، وكثيرا ما يؤدونها من دمائهم وأموالهم وهم لا يشعرون

وإنهم ليحسبون أنهم ينالون فى مقابل الكرامة التى يبذلونها قرب ذوى الجاه والسلطان حين يؤدون إليهم ضريبة الذل وهم صاغرون . ولكن كم من تجربة انكشفت عن نبذ الأذلاء نبذ النواة ، بأيدى سادتهم الذين عبدوهم من دون الله

كم من رجل باع رجولته ، ومرغ خديه فى الثرى تحت أقدام السادة ، وخلع وخضع ، وضحى بكل مقومات الحياة الإنسانية ، وبكل المقدسات التى عرفتها البشرية ، وبكل الأمانات التى ناطها الله به أو ناطها الناس .. ثم فى النهاية إذا هو رخيص رخيص ، هين هين ، حتى على السادة الذين استخدموه كالكلب الذليل ؛ السادة الذين لهث فى إثرهم ، ووسوس بذنبه لهم ، ومرغ نفسه فى الوحل ليحوز منهم الرضاء !

كم من رجل كان يملك أن يكون شريفا ، وأن يكون كريما ، وأن يصون أمانة الله بين يديه ، ويحافظ على كرامة الحق وكرامة الإنسانية ، وكان فى موقفه هذا مرهوب الجانب ، لا يملك له أحد شيئا ، حتى الذين لا يريدون له أن يرعى الأمانة ، وأن يحرس الحق ، وأن يستمر بالكرامة ، فلما أن خان الأمانة التى بين يديه ، وضعف عن تكاليف الكرامة ، وتجرد من عزة الحق ، هان على الذين كانوا يهابونه ، وذل عند من كانوا يرهبون الحق الذى هو حارسه ، ورخص عند من كانوا يحاولون شراءه ؛ رخص حتى أعرضوا عن شرائه ، ثم نبذ كما تنبذ الجيفة ، وركلته الأقدام ، أقدام الذين كانوا يعبدونه ويعدونه ، يوم كان له من الحق جاه ، ومن الكرامة هيبة ، ومن الأمانة ملاذ

كثيرهم الذين يهوون من القمة إلى السفح ، لا يرحمهم

أحد ، ولا يترحم عليهم أحد . ولا يسير فى جنازتهم أحد ، حتى السادة الذين فى سبيلهم هووا من قمة الكرامة إلى سفوح الذل ، ومن عزة الحق إلى مهاوى الضلال

ومع تكاثر المظالم والتجارب . فإننا ما نزال نشهد فى كل يوم ضحية . ضحية تؤدى ضريبة الذل كاملة . ضحية تخون الله والناس ، وتضحى بالأمانة وبالكرامة . ضحية تلهث فى إثر السادة ، وتلهث فى إثر المطامع والمطامح ، وتلهث وراء الوعود والسراب .. ثم تهوى ، وتثوى هنالك فى السفح خانعة مهينة ، ينظر إليها الناس فى شماتة ، وينظر إليها السادة فى احتقار

لقد شاهدت فى عمرى المحدود — وما زلت أشاهد — عشرات من الرجال الكبار يحنون الرءوس لغير الواحد القهار ، ويتقدمون خاشعين ، يحملون ضرائب الذل تهبط كواهلهم ، وتحنى هاماتهم ، وتلوى أعناقهم وتنكس رؤوسهم .. ثم يطردون كالكلاب ، بعد أن يضموا أحمالهم ، ويسلموا بضاعتهم ، ويتجردوا من الحسنيين : فى الدنيا والآخرة ، ويمضون بعد ذلك فى قافلة الرقيق لا يحس بهم أحد حتى الجلاد !

لقد شاهدتهم وفى وسعهم أن يكونوا أحراراً ولكنهم يختارون العبودية ، وفى طاقتهم أن يكونوا أقوياء ، ولكنهم يختارون التخاذل ، وفى إمكانهم أن يكونوا مرهوبى الجانب ، ولكنهم يختارون الجبن والمهانة .. شاهدتهم يهربون من العزة كى لا تكلفهم درهما ، وهم يؤدون للذل دينارا أو قنطارا .. شاهدتهم يرتكبون كل كبيرة ليرضوا صاحب جاه أو سلطان ، ويستظلوا بجاهه أو سلطانه وهم يملكون أن يرهبهم ذوو الجاه والسلطان !

لا بل شاهدت شعوبا بأسرها تشقى من تكاليف الحرية مرة ، فتظل تؤدى ضرائب العبودية مرات . ضرائب لا تقاس إليها تكاليف الحرية . ولا تبلغ عشر معشارها . وقديما قالت يهود لنبيها : « يا موسى إن فيها قوما جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا . إنا ها هنا قاعدون » .. فآثرت ثمن هذا النكول من تكاليف العزة ، أربعين سنة تتيه فى الصحراء تأكلها الرمال ، وتذلها الغربة ، وتشردها المخاوف .. وما كانت لتؤدى معشار هذا كله ثمنا للعز والنصر فى عالم الرجال !

إنه لابد من ضريبة يؤديها الأفراد ، وتؤديها الجماعات ، وتؤديها الشعوب . فإما أن تؤدى هذه الضريبة للعزة والكرامة والحرية ، وإما أن تؤدى للذلة والمهانة والعبودية ! والتجارب كلها تنطق بهذه الحقيقة التى لا مفر منها ولا فكاك

فإلى الذين يفرقون من تكاليف الحرية ، إلى الذين يخشون عاقبة الكرامة ، إلى الذين يمرغون خدودهم تحت مواطئ الأقدام ، إلى الذين يخونون أماناتهم ، ويخونون كراماتهم ، ويخونون إنسانيتهم ، ويخونون التضحيات العظيمة التى بذلتها أمتهم ، وبذلتها الإنسانية لتحرر وتتخلص

إلى هؤلاء جميعا أوجه الدعوة أن ينظروا فى عبر التاريخ وفى عبر الواقع القريب ، وأن يتدبروا الأمثلة المتكررة التى تشهد بأن ضريبة الذل أفدح من ضريبة الكرامة ، وأن تكاليف الحرية أقل من تكاليف العبودية ، وأن الذين يستعدون للموت توهب لهم الحياة ، وأن الذين لا يخشون الفقر يرزقون الكفاية ، وأن الذين لا يرهبون الجاه والسلطان يرهبهم الجاه والسلطان

ولدينا أمثلة كثيرة وقريبة على الأدلاء الذين باعوا الضمائر وخانوا الأمانات وخذلوا الحق وتمرغوا فى التراب ، ثم ذهبوا غير مأسوف عليهم من أحد ، ملعونين من الله ! ملعونين من الناس . وأمثلة كذلك — ولو أنها قليلة — على الذين يأبون أن يذلوا ، ويأبون أن يخونوا ، ويأبون أن يبيعوا رجولتهم بيع السماح . وقد عاش من عاش منهم كريما ، ومات من مات منهم كريما

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا »

سيد قطب

من وحى القمة القاصية :

قطيع الصيف فى باريس

للدكتور على شرف الدين

فى كل عام — وفى مستهل الصيف خاصة — يقبل على باريس هذا القطيع من أطراف أوروبا . مختلفات الجنس واللغة، متباينات الأعمار والثقافة ، فى عيونهن فرارة ، وخلف الأجفان مستقبل حافل بالدموع ، ما عرفته ولا فكرن فيه، وفى إشارتهن براءة ، وما تصيب الفواجع غالبا غير القلب البرئ ، كأنما تحب السماء هذه القلوب ، فهى تمتحنها بالآلام لتزيد فى طهارتها قبل أن ترفع إليها

أطلقهن الرعاة من مراعيها الآمنة ، رأيتهن — وهن الناشئات — أن يقبل عليهن المساء ؛ وهن فى غير مراح الحقل بعيدات عن سمع الراعى ونظره ، وما بالغ من أطلقهن فى الثقة ، ولا أسرف فى حسن الظن ، ففى قلوبهن من وحى الفطرة الأصيلة عصمة ، وفى آذانهن من ترانيم الكنيسة صدى رائع يغلب كل الأصداء ، ولكنها سنة الشباب والحب ، جديدة فى كل عصر ، وإن أعادت نفس القصة فى كل جيل

أقامت لهن باريس معارض للفن ومنـــاهل للأدب ، وحشدت لهذا أقوى ما يأسر النفس والعين . يمضى الصيف وهى مع الرعيـل فى الغـدو والرواح ، يهديهـا رسول الأمن فى الجماعة ، ويملأ عينها نور الفرح بما ترى وتسمع ، لا تابى غير نداء المعرفة، ولا تنشى غير الوطن الآمنة ، فى صالات الموسيقى، وفى لكسمبور ، وتحت قباب البانثيون . . .

فإذا تقدمت بهن الإقامة رأيت شيئا جديداً : رأيت أن القطيع قد استحال إلى أسراب ، ثم استحال السرب أخيراً إلى « القمة القاصية » ؛ ولكن فى سحنة جديد ، ولا تشك حين تراهما فى أن ملا كا يحرس هذا الحب الجديد ، فما تزال سمات الفطرة فى الوجوه تنادى بنبل العاطفة ، وما يزال فى العيون شعاع يكشف عن قلب برئ . ومن ذا الذى لا يبارك على حب تذكيه غرارة السن ، ويرعاه من العاطفة ميل ساذج صريح ؟

ويمضى الصيف فيبقى نصف القطيع قائما فى باريس لا يريم . ويتقدم الزمن قليلا ، فإذا جدة الحب قد أخذت تبلى، وإذا بهجة اليسار قد أخذت تنطفئ ، ليأخذ مكانها ظلام الحاجة، وإذا هذه الفلائل البيضـاء التى كانت ترف بالأمس على هيا كل من النور كما يرف جناح الحمائم الصابحة فى صبح الربيع — قد استطال الفقر فى ذيولها ، كما استطال الحزن والألم فى هياكلها . بقية من جمال يغزوها الهم الناصب ، والضنى الملح، فى انتقال مفاجئ من حياة إلى حياة ، ما أبعد كلا منهما عن الأخرى

هذه المدللة التى أكرمها الفلاح ، وأقامها فى الحقل (الآمن) تستملى حياة الدعة والسعادة ، وتضفى على الحقل ربيعا أجمل من ربيع مروجه ، قد أصبحت تعمل فى حقل آخر ، عمل الأجير لا المالك ، ويهولك ما ترى حين ترى أن هذه المدللة التى لم تجاوز العشرين قد أخذت تؤجر فى الحقول . . . لم تعد تصغى للموسيقى ولا تنشى محاضرة ، ولا تحفـل لهذا التاريخ الرابض فى معالم باريس ، ولكنها فى مقاهى سان جرمان مع الفاضيات من الأهل ، الساخطات على الحياة ، وأخيراً فى كهوف الليل الحمراء على ضفة السين ...

إن لها شخصية كما يدعى صاحبها الذى أطلقها من المرعى « الآمن » فهو لا يسأل — ولا يجب أن يسأل — كيف تعيش ؟ وهى « الحضرية » المدللة التى ما عرفت العمل ، وما خلقت إلا لتضفى النور على ما حولها ...إنها شخصية تمنحها إياها الحضارة فى تمام العشرين ، وقد نسيت الحضارة أن الزهرة هى الزهرة ، فى أول الربيع ، وفى عنفوانه ، وفى نهايته ، وأن الطبيعة عرفت هذا فنثرت من حولها الشوك لترهب القلوب الطامعة ، وتدفع الأيدى عن جناها . وتمر بك هذه المدللة التى كنت تسعد بالنظر

إليها . فتعاف أن تراها رحمة وإشفاقا ، ولكأن هذا العربي قد أرادها في هذه الصورة القوية من شعره

كنت مشغوفا بكم إذ كنتم شجراً لا تبلغ الطير ذراها
لا تبيت الليل إلا حولها حرس ترشح بالموت ظباها
وإذا مدت إلى أغصانها كف جان قطعت دون جناها
فتراخى الأمر حتى أصبحت هملا يطمع فيها من يراها

ويح المسيحية وويح الشرق منك يا أوربا ! ألا تذكرين حديث « الغنمة الضالة » في الإنجيل ؟ ألم يطالب إلى الراعي أن يبحث عنها حتى ولو تعرض القطيع كله للضياع ؟ إنه يعلمك كيف تكون القيم الإنسانية عندك خيراً من « المصلحة » وكيف تحرصين على الاستجابة لهواتف الروحية ، وإن لم تدع إليها « المنفعة » . إن القطيع من غير شك خير من الواحدة ، ولكنها الساعة الرحيمة التي تكسر كل مقاييس الموازنة ، وتحطم كل موازين المقارنة

هي إذا « الشخصية » أو « الحرية » أو « سن الرشد » وغير هذا من الكلمات التي تزعجينها في بطون القواميس — تقيمين منها قانونا حين شعرت بالاستخذاء والظلم ، سن الرشد !! المعروف أو سن الرشد الحقيقية تبتدئ منذ الميلاد ، وتنتهي غالبا قبيل العشرين أو عندها ، وعند العشرين تبتدئ سن الرعاية واللاحظة . . .

على أن لك في سن الرشد رأيا غريبا — رأى يتغير حسب المصلحة والعصبية الشعوبية : تعطين سن الرشد للأفراد ، وتحرمين منها الجماعات ، تعطينها للغنمة القاصية وتمنعين منها الجماعة تستمد القوة والرشد من جماعتها وائتلافها . لكم تعمدين إلى القطيع تمزقين من وحدته حتى استحال إلى غنمات قاصية لا تكاد إحداها تسمع نداء الأخرى ، ثم زعمت لنفسك عليها سلطانا في دعوى باطلة مزورة ، تارة (برسالة الحضارة) وأخرى بأنها لم تبلغ سن الرشد ، وقد كان في اجتماعها وتآلفها الرشد كل الرشد ، ولكنها المصلحة التي أنكرت فيها حقوق الإنسانية ويح المسيحية وويح الشرق منك يا أوربا !

أسرفت في السرور حتى قتلت في نفوس أبنائك الإحساس بالسرور ، وأقمت للوثنية هيا كل مكذوبة ، تقدمين لها قرابين دامية ، هي أشلاء ضحيتك ممزق في معركة صرعت فيها (المنفعة) كل هواتف الروح ، وما رضيت أن تشهدي وحدك هذه الأصنام بالأمس في قصر شايو ، ولكنك تدعين معك قرائس السياسة ، وغنائم القوة ، ليشهدوا مصارع حقوقهم وأمانيهم . . .

حتى (الإنيسكو) هذا الرجل الوقور ، سخرت منه أوربا و (ضحكت عليه) فغرزت في عمامته أعلام الشعوب ترفرف متساوية متكافئة . نعم نعم ترفرف متساوية متكافئة في (الهواء) تقولين له : (ما أحوجنا إلى رأيك في التربية والتعليم) ثم تسرين له في أذنه : (رسالتك شاقة ، وإنك لتعرف ما بين السطور ، فكن ماهر النفاذ ، لطيف الأداء ، فما أحوجك إلى (الكياسة) لتصل من التربية إلى (. . . .) فيبتسم هذا الرجل الوقور بينما ينسكب أطراف لحيته المستعارة « إنني خبير (بالسجمة) المفقودة ، وما أيسر أن تجمعهم على ضرب واحد من التعليم ، ومنهج متحد من التربية ، حتى تلتقي الأهواء ، وتتآلف النزعات ، وهناك تتم (السجمة المفقودة) ، وقد نسيت أوربا ونسي معها هذا الرجل شيبه الوقور أن الشعوب لم تكن شعوبا لأن الأنهار تفصلها أو لأن الجبال تحد مابين تخومها ، ولكن الشعوب كانت شعوبا لأن لكل شعب أمنية يفيض بها قلبه ، أمنية تستغل حياته وتأخذها من أقطارها لا تلبث أن تستحيل إلى مادة حية في أغنية خالدة مقدسة . مالي أنسيت الحديث ؟ لقيتها مرتين مواظبة على محاضرات (أحلام ممتزل) لجان جاك روسو . إنها تلتمس عنده في ساعات عزلته ، ما يمسح على جراح نفسها . إنها قد نسيت الماضي ، الماضي البعيد والقريب ، وما كانت تحب أن تثير هذي الذكرى ، فإنها قد تجاوزت منطقة الألم ، واستراحت إلى نسيان يوشك أن يسبغ الطمأنينة والهدوء على قلبها ، وكانت نفسها صحيحة لم تكسر ، مشرقة لم تنطفئ ، وإن كان يسبح في جبينها الهادئ شعاع

شاحب ترف على حواشيه ذكريات خافتة ، تدافعها بالصبر والأمل ، وقوة الإيمان بحياة جديدة

وكان شأني يضيق بمعاونة تغذيها ، ولم أجد غير سيدة تركية هي وزوجها مثل عال لحضارة الإسلام في باريس ، قلت لها : إنها كما ترين حزينة كسيرة وما أحسبها تحسن الكثير من عمل المنزل ، وما أحسبها إلا حملا عليك ان تضيقي به ، ولها من ثقافتها في منزل شرقي ما يهيئ لها الحياة فيه ، فطالعت السيدة أسارير وجهها ، فلم تشهد تمردا ، ولم تر أثرا لهذه النكسة التي تطبع على وجوه المغلوبين في حياتهم الساخطين عليها ، فابتدرت قائلة (فابقى إليها منذ اليوم) ثم استدركت مستعجلة (معلمتها لا خادمتها) ثم التفتت إلى زوجها كمن تطمئنه على نهوضها بحياتها (وعندي لها من ستسعد بهن ويسعدن بها ، ولن تضيق بحياتها من نشأت في سويسرا الفرنسية . .)

مضت أيام لقيتهم بعدها ، وكان السيد التركي كعادته يقضي الساعات في مكتبته ، رأيته أشبه ما يكون بالمستغرق في حلم . فلم أشأ أن أقطع عليه تأمله ، حتى انتبه متهلل الوجه مسروراً « إنه شعر حسن جميل » قلت لمن ؟ قال لشاعر تركيا ارف حكمت الهرسكي ، ثم أقبل يقرأ ، ولكن صوتا آخر قطع عليه قراءته ، صوت أحسب أني سمعته قبل اليوم ، فاتجهت نحوه فإذا في الحجرة القريبة منا قد جلست هيلين وإلى جوارها طفلة في العاشرة من عمرها ، ومن حولها ثلاثة من فتيات تركيا الحديثة ، أقبلن للدراسة في باريس ، ولا غنى لمن من دراسة اللغة ، سمعتها تملي عليهن قطعة لأندريه جيد ، يصف فيها سمات الإدراك والفهم ، تجري في أساريره طفلة بكماء قام على تربيتها نفس سويسري ، حتى أدركت الأصوات وفهمت الحديث يجري من حولها « ... لقد نبضت سمائها بالحياة فجأة ، وجرى في جبينها إشراق أشبه ما يكون بالشعاع الذي يسبق الفجر في أعالي الألب والذي ترف له القمة المتوجة بالثلوج .. لم يكن ابتساما ، ولكنه لون من خواطر النفس ... لم يكن قط ما زادها في هذه اللحظة معرفة وإدراكا أكثر منه حبا وهياما ... »

قلت للسيد « لست أدري أيهما خير من الآخر : الباستير السويسري مع جرتريد ، أم السيد التركي مع هيلين ؟ » قال « الباستير من غير شك لأن جرتريد قد خرجت على يديه من الصمت إلى الإفصاح .. أما أنا فلم أصنع إلا ما يجب لها ، وما هو من حقها في الحياة ، وخير منهما جميعا الهرسكي الشاعر ، ثم أعاد إلى يده ديوانه وأخذ يترجم عن التركية :

« ليس حتما أن تنتقل النفس من النور إلى الظلمة ، لأن النور طبيعتها ففيم التحول وهي مستريحة إليه » « ومن الحتم أن تنتقل من الظلمة إلى النور ليس فقط لأنها تشعر بالغربة والإيحاش ، ولكن لأن وطنها الأول يحمي هو الآخر وعاءه »

باريس

علي شرف الدين

دكتور في الأدب الفرنسي البحت من السوربون

ظهرت الطبعة الرابعة الجديدة

للمجلد الاول من كتاب

وحي الرسالة

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته ثمانمائة صفحة ونيفاً . وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

فضل المدنية العربية
على المدنية الغربية

للدكتور فيليب حتى

أستاذ التاريخ بجامعة برنجستون بالولايات المتحدة

خلاصة موجزة لسبع محاضرات ألقاها الأستاذ باللغة الإنجليزية في جامعة سان باولو

٥ — نهوض الشعوب العربية الحديثة

العالم العربي قطعة متصلة تمتد من مراكش على الأتلنتيكي غرباً إلى العراق على خليج فارس شرقاً تجمعها اللغة والثقافة. وهي تتألف من وحدات أربع: إفريقية الشمالية، مصر، الجزيرة العربية، والهلال الخصيب

فأفريقيا الشمالية هي من حيث الجغرافية جزء من القارة الإفريقية، ومن حيث الثقافة والتاريخ جزء من الشرق الأدنى. وهي تتميز عن غيرها من الوحدات العربية بقربها من أوربا وبعدها عن قلب الإسلام وقلة الدم العربي في سكانها وكثرة المستعمرين الأوربيين المستوطنين فيها مما جعلها تسير في طريق لنفسها. وهذه الوحدة الإفريقية هي الأولى التي وقعت تحت النفوذ الأوربي السياسي وانفصلت عن جاراتها المسلمات. فالروح القومية العربية للآن لم تبلغ فيها حداً عالياً

وكانت الجزائر أول بقعة فيها احتلها الأوربيون وهم الفرنسيون وذلك عام ١٨٣٠. وتبعتها تونس التي احتلها الفرنسيون عام ١٨٨١. أما مراكش فتقاسمها الفرنسيون والإسبان في بداءة القرن العشرين؛ وبقيت طرابلس الغرب في حوزة الأتراك العثمانيين إلى عام ١٩١٢ عندما احتلها الطليان وأطلقوا عليها الاسم الروماني القديم ليبيا. وستكون ليبيا أول بلاد من هذه الوحدة تتحرر وتستقل بفضل قرار من الأمم المتحدة يقضي بذلك في أول كانون الثاني من عام ١٩٥٢

ومصر من حيث الجيولوجيا والجغرافيا جزء من إفريقية ومن حيث التاريخ والثقافة جزء من آسيا الغربية. فمصير مصر في كل أدوارها كان مرتبطاً بالبلدان في شرقيها لا في غربيها. وهي باعتبار سكانها (٢٠٠٠٠٠٠٠) وخصب أرضها وغنى أبنائها في مقدمة الدول العربية وتطمح إلى الزعامة بينها. وكان الإنكليز قد احتلوا مصر عام ١٨٨٢ ولكنها نالت استقلالها الناجز سنة ١٩٣٦

والجزيرة العربية تمتاز باحتوائها الأماكن المقدسة، مكة والمدينة. وهي بداعي تقاليدها الدينية وجغرافية أرضها تعيش عيشة منفردة انعزالية غير متأثرة بالعوامل الخارجية. لذلك انكسرت موجة التأثير الغربي الأوربي بما فيها من قومية وعلمانية ونزعات عصرية حديثة، على شواطئ الجزيرة دون أن تحدث فيها هياجاً ملحوظاً. وفي أوائل الثلاثين من هذا القرن اكتشف الأمريكيون في شمالها — في البلاد السعودية — معادن غنية للزيت. ولكن أثر الشركة الأمريكية يكاد يقتصر على بقعة محاذية للخليج الفارسي. وفيما سوى المملكة السعودية فهنالك مملكة اليمن المستقلة وهذه أيضاً متصفة بالمحافظة على القديم وعدم الإجابة لدواعي المدنية العصرية الحديثة

والهلال الخصيب يتألف من سوريا ولبنان وفلسطين والأردن والعراق. ولقد كانت سورية ولبنان إلى نهاية الحرب العالمية الثانية تحت الانتداب الفرنسي ولكنهما اليوم جمهوريتان مستقلتان. وكانت فلسطين وما وراء الأردن والعراق تحت الانتداب الإنكليزي. ومقاومة الانتداب الفرنسي في سورية ولبنان نشط الروح القومية الوطنية؛ كما أن مقاومة الانتداب الإنكليزي في سائر بلدان الهلال الخصيب ومقاومة الصهيونية نشط الروح القومية فيها. ولقد كان تقدم العراق السياسي من الانتداب في عام ١٩١٨ إلى الملكية عام ١٩٢١ إلى الاستقلال والانضمام إلى جامعة الأمم عام ١٩٣٢ أمراً مذكوراً. والعراق اليوم مثل مصر حكومته ملكية دستورية

وعليه نرى أن الأمم العربية في غربي آسيا التي كانت حتى الحرب العالمية الأولى خاضعة للحكم العثماني قد فازت بين الحربين العالميتين باستقلالها وأخذت تسير في قافلة الأمم العصرية الديمقراطية الناهضة

٦ — أثر الغرب الحديث فى البلدان العربية

ظلت البلدان العربية رازحة تحت الحكم العثمانى أربعة قرون (١٥١٦ — ١٩١٨) كانت بمثابة القرون المظلمة فى تاريخها الطويل . عاش أبناء العربية فى هذه القرون محافظين على القديم مقيدين بالتقاليد لا يشعرون بشئ من التقدم الأوربى ولا يهتمون به . فكان الجمود أهم ميزة لمدنيتهم

وجاءت حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٧ بمثابة الهزة الأولى التى أيقظتهم من سباتهم . وكان نابليون قد جاء بمطبعة عربية من رومة فأقامها فى القاهرة وأنشأ معها أكاديمية للآداب والعلوم ومكتبة . فكانت هذه المطبعة أول مطبعة فى وادى النيل . وعقب نابليون فى حكم البلاد محمد على فأرسل البعثات العلمية والحربية إلى البلدان الأوربية ولاسيما فرنسا وإيطاليا، ولم يكتف بذلك بل استدعى من أوربا إلى بلاده ضباطاً وأساتذة وأطباء ومهندسين ، وأسس فى القاهرة مدرسة طبية وأخرى هندسية . وكان يحلم محمد على بتشييد إمبراطورية عربية يكون هو على رأسها

وأثر الغرب الذى بدأ فى مصر ما لبث أن امتد إلى سورية ولبنان وذلك فى عهد إبراهيم باشا ابن محمد على فى العقد الرابع من القرن التاسع عشر (١٨٣١ — ٤٠) فأخذت الرسالات التبشيرية من كاثوليكية وبروتستانية تشيد المدارس والكنائس . فالامريكيون أسسوا فى بيروت عام ١٨٣٤ المطبعة التى لم تزل تعمل باسمهم . وفى عام ١٨٦٦ بنوا الجامعة الأميركية . وعلى الأثر شيد اليسوعيون الفرنسيون مطبعتهم التى لم تزل فى مقدمة مطابع الشرق وجامعتهم المعروفة فى بيروت . وما لبث أبناء لبنان وسورية أن أقاموا المطابع والمدارس والمكاتب والجمعيات العلمية والأدبية على منوال المنشآت الغربية . وعقب عصر الترجمة من الإنكليزية والفرنسية عصر الإبداع والاستنباط فى الأدب والعلم والفن

وكان من نتائج النهضة الأدبية أن تولد الوعى القومى بين أبناء العربية وذلك بعد أن أدركوا بفضل هذه المدارس شيئاً من ماضيهم المجيد وتاريخهم المليء بالمفاخر . فاليقظة السياسية عقبت اليقظة الأدبية . وتولدت فى أفكار القوم الروح القومية بما فيها من الرغبة فى التخلص من الحكم التركى وتقرير المصير والاستقلال السياسى

وكان رواد هذه النهضة معظمهم من أبناء لبنان المسيحيين ومن خريجى المدارس الأميركية الذين وجدوا فى مصر مجالا أوسع للعمل

فأساس النهضة العربية الحديثة إذن أدبى علمى . وعلى ذلك الأساس تشيدت دعائم الوطنية والقومية العربية . وكل ذلك بتأثير الموجة الغربية التى نقلت إلى الشرق أفكاراً علمانية واقتصادية واجتماعية وسياسية جديدة . وكان من أهم الأفكار السياسية فكرة الديمقراطية وتقرير المصير

ولم تكن الروح القومية العربية فى بادئ أمرها من النوع الإقليمى بل من النوع الشامل . كان أساسها اللغة والثقافة لا الدين ، وكانت ترمى إلى جمع المسلم والمسيحى المصرى والسورى واللبنانى على صعيد واحد هو الصعيد الأدبى

٧ — ثورة القومية والفوز والاستقلال

كانت البلدان العربية الآسيوية حتى الحرب العالمية الأولى وحدة مفردة تخضع للحكم العثمانى . على أن تلك الحرب كان من نتائجها تفكك عرى الإمبراطورية العثمانية وسلخ البلدان العربية وتجزئتها إلى وحدات متعددة مما آل إلى تجزؤ القومية العربية البدائية

فمصر بعد أن احتلها الإنكليز عام ١٨٨٢ صار همها الأول التخلص من ذلك الاحتلال . فأصبح لها مشكل خاص بها . وبفضل ذلك أخذت القومية فيها تصطبغ بصبغة محلية موضعية وانفصلت عن القومية العربية الشاملة . يومئذ اكتشف المصرى أنه مصرى واتخذ شعاره « مصر المصريين » . وفى عام ١٩٣١ نالت مصر استقلالها بعد أن أمضت مع إنكلترا معاهدة العشرين سنة تخول الإنكليز حق استخدام الرافئ وطرق المواصلات المصرية فى أيام الحرب وإبقاء جامية بريطانية على ترعة السويس

كذلك سورية ولبنان بفضل مقاومتهما للانتداب الفرنسى الذى أصبح مشكلهما الخاص بهما افترقتا عن بقية البلدان

العربية وتولدت فيهما روح إقليمية خاصة . وكان أبناء سورية ولبنان يشكون من عدم اعتبار فرنسا قوميتهم ومن فرض اللغة الفرنسية عليهم ومن تقسيم البلاد السورية إلى ولايات والسماح لتركيا باحتلال سنجق هاتاى . فمقاومة الانتداب جاءت بمثابة رد من يشهد عليه القوميون سيوف وطنيتهم إلى أن أعلن لبنان جمهورية مستقلة وكذلك سورية وذلك عام ١٩٤٥ . وكان لبنان في الكثير من أحقابه ولا سيما في العهد العثماني يتمتع بمقدار مختلف من الحكم الذاتي

أما مشكلة فلسطين التي وقعت تحت الانتداب الإنكليزي فما زاد عرقلته حشر الصهيونية فيه . وهي الحركة الأجنبية التي اعتبرها العرب بكليتهم حركة اعتداء وظلم . فالجهاد ضد بريطانيا والصهيونية نتج عنه روح فلسطينية محلية . وبعد أن ظهرت إسرائيل (١٩٤٨) ضم الملك عبد الله ما تبقى من فلسطين إلى مملكته وبذلك زالت فلسطين من الوجود

وكان الملك عبد الله قد بدأ حياته السياسية الهامة أميراً على ما وراء الأردن وذلك عام ١٩٢٢ بعد أن طرد الفرنسيون أخاه فيصل من عرش سورية المحدث

بيد أن سياسة الانتداب الإنكليزي في العراق جاءت من الطراز المستتير المتساهل ، ففي عام ١٩٢١ بعد أن فشل الأمير فيصل في محاولته الملكية في دمشق نصبه الانكليز ملكا على العراق . وفي عام ١٩٣٠ تخلى الانتداب البريطاني عن كل حقوقه في هذه البلاد واعترف بالعراق بلاداً مستقلة . فالعراق سبقت شقيقتها سورية في ميدان التطور السياسي مع أن سورية كانت تسبقها في التقدم العمراني والثقافي

والمملكة العربية السعودية هي من صنع ملكها الحالي عبد العزيز بن سعود الذي شيد لنفسه مملكة جديدة منتشرة من الخليج الفارسي إلى البحر الأحمر ومنطوية على معظم الجزيرة العربية الشمالية والوسطى . وهو الذي طرد الملك حسين والد عبد الله وفيصل من الحجاز . وجاء اكتشاف الزيت بثروة فائقة في صحارى هاته البلاد حادثاً تاريخيا هاما إذ بواسطته فتحت بعض أطراف البلاد أبوابها لقبول العوامل العمرانية الغربية الحديثة . ولشركة الزيت الأميركية التي نالت امتياز الاستثمار عام ١٩٣٣ الفضل في جعل دخل المملكة العربية السعودية أعظم دخل لبلاد عربية في العالم

وفيما سوى هذه المملكة فهنالك مملكة اليمن في الجنوب التي لا تزال حكومتها ثيوقراطية وأبناؤها بعيدون عن المؤثرات الخارجية العصرية من علمية وفنية وعلمانية . فاليمن لا تزال محافظة على القديم بعيدة عن مجاري العمران التقدمي الحديث

إن كانت الحرب العالمية الأولى نتج عنها تقسيم البلدان العربية وتجزئتها وتوليد قوميات وطنية فيها فالحرب الثانية جاءت نتائجها عكس ذلك . شعر أبناء العربية أن مصلحتهم الاقتصادية والسياسية تقضي بجمع كلمتهم وتوحيد أهدافهم فالوا إلى التعاضد والتعاون والوقوف اليد في وجه العدو الخارجي . وكان من نتيجة ذلك تأليف جامعة الدول العربية وقوامها مصر وسورية ولبنان والأردن والعراق والبلاد العربية السعودية واليمن . وللجامعة دستور يكفل لكل دولة فيها الاستقلال التام ويقضي بحل المشاكل بين الأعضاء إذا كان ثمة مشاكل بطرق سلمية ويفرض التضامن على دفع الاعتداء من الخارج . وللجامعة لجنة سياسية وثانية اقتصادية وثالثة ثقافية . ومع رغبة الجزائر ومراكش وتونس في الانضمام إلى عضويتها فالدستور لا يجيز ذلك إلى أن تحقق كل واحدة من هذه البلدان استقلالها الداخلي التام

ومع أن الجامعة نالها شيء من الكسوف بداعي المعضلة الصهيونية التي تولدت منها إسرائيل فهي الآن تحدد حياتها وتسعى للعمل الصالح الشامل . وعلى نسبة ازدياد شأن هذه المنظمة في الشؤون الدولية تزداد قيمة الأعضاء فيها

فيليب حتي

الأمثال فى حياة اللغة

للأستاذ حامد حفنى داود

الأدب العربى بمعناه الخاص ينقسم إلى قسمين : شعر ونثر. النثر العربى صور شتى أهمها : الرسائل الأدبية بأنواعها الثلاثة : الديوانية والعامة والخاصة — ثم التأريخ الفنى والقصص — ثم الحوار والمناظرات — ثم المقتضبات والتوقيعات — ثم الحكم والأمثال — ثم الملح والفكاهة

وقد آثرت فى هذا المقال أن أتحدث عن «الحكم والأمثال» لما لاحظته فيها من تطور عجيب تخالف فيه فنون النثر العربى سواء فى نشأتها وتأريخها

والحكمة فى اللغة : القول الجليل ذو المعنى الشريف ، والمثل : القول البليغ المقتضب يضرب لشرح أمر أو تفسير ظاهرة أو تأكيد معنى من المعانى . ولا تختلف الحكمة عن المثل كثيرا ، وربما كان أخص ما تمتاز به أنها أقدم منه استعمالا وأشرف معنى وأعمق فكراً وأدل على المقصود وأبق مع الزمن

أما نشأتهما فترجع إلى أحداث قديمة تتصل بواضعى اللغة أو المتكلمين بها فى أقدم عهودها ؛ فأكثر الأمثال يعود بنا فى نشأته وظهوره إلى العصر الجاهلى ، يوم كانت اللغة فى عنفوان شبابها ، وكادت تنحصر فى الجزيرة العربية ، والعرب بعيدون عن الأعاجم تقريبا ، وقبل أن يختلطوا بهم ويتفشى اللحن فيهم

ولكن من هؤلاء الذين أرسلوا هذه الأمثال ؟ لا شك أن هذه الأمثال لم تنزل من السماء أو ينزل بها الوحى . ولو أننا استطعنا أن نصدق أن مفردات اللغة كانت « تلقينيه توقيفية » كما يزعم الفقهاء استدلالا بقوله تعالى « وعلم آدم الأسماء كلها »(١) فإننا نجزم أن أكثر الأمثال — إن لم يكن جميعها — « اصطلاحى » ؛ لأنها — كما سنحقق — من صنيع العربى الصراح ووليدة تفاعله الشعر مع بيئته

وربما كان شعراء الجاهلية أسبق من خطبائها إلى هذا اللون من الفن النثرى . وقد تعجب لذلك لأن أكثر الأمثال لون من ألوان النثر وليست من باب الشعر . ولكنك لا تلبث أن تقتنع إذا علمت أن العناصر الأدبية وهى : الفكرة والخيال والعاطفة والأسلوب . تتحقق فى نفسية الشاعر قبل الناثر . ومن هنا كانت الأمثال أشبه بالشعر المنثور يرسله الشاعر قبل الناثر

ولعلك تؤيد هذا الزعم الذى ذهبت إليه إذا علمت أن أكثر الأمثال العربية التى دونها لنا القدماء من مؤرخى الأدب العربى ترجع فى وضعها إلى هؤلاء الشعراء الجاهليين

وقد كان شعراء الصعاليك — وهم الرعيل الأول من شعراء العصر الجاهلى — أعظم حظا وأوفر نصيبا من إخوانهم فى هذا الباب . ولعل ذلك يرجع إلى استعدادهم الفطرى البالغ وتفاعلهم الصريح بالبيئة العربية الصارخة التى أبدعت هذا اللون من الأدب النثرى . واشتهر من بين هؤلاء جماعة كثيرون عرفوا بضربهم فى فيافى الجزيرة وتصرفهم فى مجاهلها . نذكر منهم على سبيل المثال : « تأبط شرا » و« أبا الطمحان القينى » و « السليك بن السلكة » و « والشنفرى »

وقد كانت هذه الأمثال وليدة أحداث ووقائع اعترضت هؤلاء الشعراء فى حياتهم . قيل : لما أسر أسيد بن جابر « الشنفرى » ، قال إخوان أسيد للشنفرى : أنشدنا . فقال : (إنما النشيد على المسرة) وأرسلها مثلا . وحكوا أن « السليك » سار ليلة على رجليه رجاء أن يصيب شيئا ثم نام ، وبينما هو نائم جثم عليه رجل وقال له : استأثر ، فرفع السليك رأسه قائلا (الليل طويل وأنت مقمر) فذهبت مثلا(٢) حدث كل ذلك والعرب فى بيئتهم ، ونطقوا به منجما وفق أحداث الحياة ووقائعها ، ولم يرثوه عن أجدادهم تلقينا وتوقيفا كما ورثوا مفردات اللغة(٣) وإنما تحكمت البيئة فى الاصطلاح

(١) المزهر لمجدد القرن العاشر جلال الدين السيوطى ص ١١، ١٢

(٢) شعراء الصعاليك من العرب «لصاحب هذا المقال»

(٣) على رأى القائلين بالتوقيف

والتواضع عليه

* * *

ولم يكد يظهر الإسلام وينتشر فى بقاع الأرض شرقا وغربا حتى عنت هذه الأمثال — كما عنى غيرها من آداب اللغة — إلى ألسنة المتأدبين والناطقين بالعربية من عرب وأعاجم . ولكن قافلة الأمثال لم تسلك الطريق الذى سلكته قافلة الرسائل وغيرها من صور النثر . أريد أن أقول : إن تاريخ الأمثال العربية يغاير فى نشأته وتطوره تاريخ الكتابة والرسائل مغايرة تامة . ذلك لأن الأمة العربية لم تنشأ حاجتها إلى الكتابة المنظمة والرسائل المدونة التى نقرأها فى كتب الأدب إلى حين تعقدت الحياة واتسعت رقعة الدولة واحتيج إلى العمال فى الأقاليم لإحصاء أمور الإمبراطورية الإسلامية وتنظيم سياستها الداخلية والخارجية . أما الأمثال فإنها لم تتحدد بهذا الزمن أو تختنق فى هذه الدائرة الضيقة أو تتوقف على هذه الأسباب لأنها من الحياة اليومية فى الأسرة والمجتمع . وقد كانت ولا تزال فى كل زمان ومكان من الرجل الساذج والعامى والجاهل ومحدود الثقافة فى الوقت الذى كانت فيه ولا تزال من الكاتب الكبير والأديب المبتكر . بل ربما كانت عند الساذج والجاهل أوفر استعمالا من غيره

ومن هنا نستطيع أن نعلل كيف كانت الأمثال أسرع فنون النثر تطوراً ، وكيف سلكت طريقها فى الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموى وهى تنمو نموا مطرداً . إنها لم تتأخر إلى هذا الحين الذى نشأت فيه الكتابة الديوانية ؛ التى جودها عبد الحميد الكاتب وأستاذه سالم . بل سلكت طريقها صعداً إلى الأمام منذ مولدها على لسان العربى فى بيئته الجاهلية ، وتلونت بالحياة الاجتماعية فى شتى أحوالها وأطوارها وصورها المختلفة فى التاريخ ؛ ذلك لأنها — كما قدمت — كانت جزءا من لغة الحياة وزخرف القول الذى لا بد للناس منه فى كل يوم

وهنا لا نعجب إذا رأينا أن تطور الأمثال لم يقف أو يجمد فى اليوم الذى وقفت فيه وجمدت حياة الكتابة الديوانية أواخر القرن السابع الهجرى(٤) ولا شك أنك ترى معى أن هذا راجع إلى السبب الأول نفسه — وهو أن الأمثال من الأدب اليومى عند العامى والبليغ على السواء . فظاهرة الاستعمال والتفاعل مع الحياة اليومية هى التى حفظت الأمثال رونقها وأبقت عليها حياتها

* * *

وثمة فارق آخر تتميز به الأمثال عن غيرها من فنون النثر ، ذلك أن هذه الفنون الأخرى حين جمدت فى أواخر القرن السابع صارت صوراً أدبية قديمة كلاسيكية لا وجود لها فى واقع حياتنا اليومية ، فلم يستطع أحد من الأدباء المتأخرين أن ينقلها إلى واقع الحياة ، كما لم يستطع العامة أن ينقلوها إلى ألسنتهم الدارجة أو تأخذ مكانها من نفوسهم وحياتهم التى تتطور يوما بعد يوم . لقد عجزت هذه الفنون عن مواصلة حياتها لأنها جفت قبل أن تصل إلى أيدى العامة واستعمال سواد الناس لها ، على حين تلونت الأمثال تلوناً سريعا بعاميتنا العربية وخاصة فى العصرين : المملوكى والتركى . واستطاعت خلال هذه الحقبة الطويلة أن تخوض معركة العامية وأن تحرز النصر وأن تكسب جائزتى « التحرر » و « الخلود » معاً — دون أخواتها من فنون النثر . ومن ثم فرضت نفسها على الحياة كما فرضت العامية نفسها

ولعلك تعجب كثيرا حين ترى سبعة أعشار لغتنا العامية — اليوم — من هذه الأمثال . فلا تكاد تسمع أحداً ممن يتكلمون بالعامية الصرفة أو العامية المهذبة لا يستعمل هذه الأمثال بين الفينة والفينة . وهناك كثيرون من مفطورى العامة من يستطيعون أن يجعلوا حديثهم كله سلسلة عجيبة متتالية من الأمثال . ولم العجب وقد ولدت ونموت فى بيئتهم التى يعيشون فيها وورثوها عن آبائهم . فهى صنيعة وراثتهم وبيئتهم وعقليتهم وطوع ألسنتهم

وهل منا من ينكر ذلك ونحن نتحدث عن ظاهرة طبيعية واجتماعية . لغوية من مظاهر الطبع والسليقة . وإذا كنا نصدق أن من الصوفية من تحرز فى كلامه المباح من أن ينطق بغير الآيات القرآنية فى كل ما يسأل فيه أو يجيب عنه ، وأن من الشعراء من حاول أن يجعل جميع كلامه من الشعر لا فرق عنده بين أحاديث الأدب والأحاديث المباحة . وأن الكسائى قال : لو شئت أن أجعل جميع كلامى مما يقوله النحاة فى اصطلاحاتهم

(٤) المنهج العلمى الحديث فى تاريخ العلوم العربية (لصاحب هذا المقال)

أبو العتاهية

للدكتور محمد عبد العزيز الكفراوى

علاقته بالبرامكة

ذكرنا فيما سبق أن أبا العتاهية كان يلتزم جانب الفضل ابن الربيع فى النزاع الذى نشب بينه وبين البرامكة ، وقد أقمنا الدليل على ذلك بما كان بين الشاعر والفضل من تواد وتعاطف . وسنحاول اليوم أن ننظر إلى المسألة من جانبها الآخر ، فنرى مدى ما كان بين الشاعر والبرامكة من عداوة أو صداقة ، فإن كانت الأولى فقد استقام لنا ما ذكرناه آنفا من أن التعاون بين الشاعر والفضل كان تعاونا سياسيا يهدف إلى مضادة البرامكة ، وإن كانت الأخرى فقد التوى الحديث واضطرب

لفعلت ، وأن إنساناً سأله : ما حكم رجل سها فى سجود السهو فأجابه باصطلاحات النحاة : « المصغر لا يصغر »

أفبعد ذلك كله نعجب — ونحن فى معرض الطبع — من أن تمثل الأمثال السواد الأعظم من لغتنا العامية أو تسبح سبحة أعشار ما ينطق به العامة فى الشارع والمنزل ومكان العمل . إنها ليست سوى ظاهرة طبيعية لا عجب فيها

وإنما العجب الأكبر إن كان لا بد من العجب أن تنطلق « الأمثال » وهى صورة من صور النثر الفنى فى هذا الفضاء السريع العجيب المطرد ، وأن تتطور مع الحياة ويكتب لها الخلود فى كل مصر كما تطورت « لغة الحديث » وكتب لها الخلود عاما . فتراها تظهران فى ثوبين من العامية الإقليمية فى مصر أو غيرها من الأقطار العربية

ولعل ذلك إن دل على شئ فإنما يدل على ما بين « التراكيب المثلية » — إن صحت هذه النسبة — وبين لغة الحديث اليومية من قرابة جوهرية واضحة أصيلة لا نستطيع دفعها أو إنكارها

للكلام صلة

عامر عفنى داود

ومن حسن الحظ أن نرى الأدلة على ما كان بين البرامكة وأبى العتاهية من خلافات متعددة ، بقدر ما كانت شواهد انسجامه مع الفضل متنوعة ، ومن ذلك ما حدثنا به أبو الفرج من أن متحدثا ذكر فى مجلس يحيى بن خالد البرمكى يوما أن أبا العتاهية قد نسك وجلس يحجم الناس للأجر تواضعا بذلك ؛ فقال يحيى : ألم يكن يبيع الجرار قبل ذلك ؟ فقيل له نعم ، فقال أما فى بيع الجرار من الذل ما يكفيه ويستغنى به عن الحجامة ؟ فإذا عرفنا أن يحيى بن خالد كان على جانب عظيم من الحصافة والرزانة ؛ أيقنا أنه ما كان ليفوه بتلك العبارة المنكرة لو لم يضمر للشاعر حقدا شديدا أنساه حلمه ووقاره . ومن ذلك ماروى أيضا من أن الرشيد قال يوما للشاعر ، وقد أعجبه ما رأى حوله من مظاهر ملكه : صف لنا ما نراه فى مجلسنا من مباهج الحياة . فأنشد :

عش ما بدا لك آمنا ... فى ظل شاهقة القصور
يسعى عليك بما اشتهيـ ... ـت لدى الرواح أو البكور
فإذا النفوس تقعقعت ... فى ظل حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا ... ما كنت إلا فى غرور

وما كاد الرشيد يسمع الأبيات حتى بكى بكاء مرا ، فقال الفضل بن يحيى وكان بالمجلس : استدعاك أمير المؤمنين لتسره فسئته ! فقال الرشيد : دعه وما يريد ، لقد رأينا فى عمى فأحب ألا يزيدنا منه . أرأيت كيف كان الفضل بن يحيى يضيق ذرعا بأبى العتاهية وبالطريقة التى كان يتبعها فى بلبلة بال الرشيد وتنغيره من الحياة وزينتها ، على حين كان الفضل بن الربيع يغريه بذلك ويشيعه عليه

وشئ آخر يزيدنا إيمانا بما ذهبنا إليه من انقطاع صلات المودة بين أبى العتاهية والبرامكة ، وذلك هو أننا لا نجد له بيتا واحداً من الشعر فى مدحهم . أليس ذلك عجيبا حقا فى ضوء ما نعلمه من حرص أبى العتاهية الشديد على جمع المال ، وما نعلمه إلى جانب ذلك من كرم البرامكة الذى كان مضرب الأمثال ؟ فهل كان أبو العتاهية جاهلا بأنباء ذلك الكرم والبرامكة منه قاب قوسين أو أدنى يغادونه ويراوحونه فى بغداد ؟ كلا لم يكن شاعرنا جاهلا بشئ من ذلك ، ولكن صلته بالفضل بن الربيع

ومناصرته له عليهم حرمته عطفهم ، وباعدت ما بينه وبينهم . وإذا أعوزك الدليل على ذلك ، فاستمع إلى أبي الفرج إذ يقول : سأل أبو العتاهية صالحا الشهرزوري — وكان صديقا له — أن يكلم الفضل بن يحيى في حاجة له ، فتردد صالح في ذلك وأبدى استعداده لأن يمنح الشاعر ما يشاء من ماله الخاص ، ولكن الشاعر أبى إلا ما يريد ، وأنب صالحا وقرعه في عدة مقطوعات شعرية ، ولما وصل صالحا الأبيات التالية :

أهل التخلق لو يدوم تخلق ... لسكنت ظل جناح من يتخلق
ما الناس في الإمساك إلا واحد ... فبأيهم إن حصلوا أتعلق
هذا زمان قد تعود أهله ... تيه الملوك وفعل من يتصدق

لم يجد بدا من الذهاب كارها إلى الفضل ومعه الأبيات السالفة ، وكلمه في شأن أبي العتاهية ، فقال الفضل : لا والله ما شيء على الأرض أبغض إلي من إسداء عارفة إلى أبي العتاهية ، وقد قضيت حاجته لك

أرأيت كيف كان الفرق واضحا بين معاملة الفضل بن الربيع للشاعر ، ومعاملة الفضل بن يحيى له ؟ فبينما نرى الأول لا يكتفي بما يسبغه على الشاعر من ماله الخاص ، بل ينتزع له الأموال من الخلفاء ، ويروج لأشعاره عندهم ، إذ بنا نرى الشاعر لا يكاد يجرؤ على القرب من الفضل بن يحيى حينما تعرض له حاجة عنده ، بل يطلب له الشفعاء والوسطاء .

وإننا لنعتقد أن فهم ما كان بين الشاعر والبرامكة ، وما كان بينهم وبين الفضل بن الربيع من خلاف على النحو الذي ذكرناه ؛ هو الطريق السليم إلى تفسير حدث غامض في الأدب العربي ، لا يكاد المرء يتدبره حتى يحس أن هناك فراغا في نفسه أو في القصة يحتاج إلى ملء . فقد روى الصولي في أوراقه أن يحيى بن خالد البرمكي شعر بحاجة إلى حفظ كتاب كليلة ودمنة ، ولكي يسهل ذلك الأمر على نفسه طلب إلى صديقه أبان اللاحقي أن ينظمه له . ويشتد حرص يحيى على إنجاز نظم الكتاب في أقصر وقت ، فيحبس أبانا في منزله إلى أن يفرغ منه ، ثم يعطيه جائزة سنية عند انتهائه من الكتاب . ويذكر الصولي أن جعفرا البرمكي كان يحفظ الكتاب أيضا . ثم يذكر في مكان آخر أن يحيى قال لأبان : هلا قلت شيئا في الزهد ،

وأن أبانا نظم أشعارا كثيرة في الزكاة وغيرها من العبادات . ويروى أبو الفرج أنه نظم قصيدة سماها ذات الحال ، ذكر فيها مبدأ الخلق وأمر الدنيا وشيئا من المنطق ، وينسبها بعض الناس إلى أبي العتاهية . والآن فلنناقش هذه الأخبار واحدا فواحدا . أما ما كان من رغبة يحيى وجعفرا في حفظ كليلة ودمنة فأمر يستوجب التساؤل : لم عنى البرامكة بهذا الكتاب تلك العناية الشديدة ، ولم حرصوا على حفظه أو حفظ شيء منه ، ولم كانت العجلة في نظمه عجلة أدت إلى حبس ناظمه ؟

والإجابة عن تلك الأسئلة تسهل علينا إذا نظرنا إلى موضوع الكتاب ، فما هو إلا محاورات وضعت على ألسنة الحيوانات ، وتدور حول ما يدبره بعض الناس للبعض الآخر من مكائد ، وما يبيتون لهم من شرور ، وآية ذلك أن أول قصصه وأهمها نصف حال شخصين متحابين متوادين دخل بينهما ثالث ، وما زال يسعى بينهما بالسوء حتى أفسد ما كانا عليه من مودة ثم أهلكهما جميعا . ولعل القارئ الكريم قد رأى معي تمام الشبه بين موضوع الكتاب وما كان يمثل إذذاك على مسرح بغداد من روايات ؛ أليس هذان المتحابان هما البرامكة أو قل جعفر البرمكي بالذات من جهة ، وهارون الرشيد من جهة أخرى ، كما أن الداخل الثالث بينهما هو الفضل بن الربيع . ألا يمكن أن يكون يحيى وابنه جعفر ، إنما أرادا بحفظ ذلك الكتاب أن يجدا المادة حاضرة كلما عنت مناسبة لتبصرة الرشيد بما كان يدبره له ولهم الفضل بن الربيع من مكائد توشك أن تذهب بأكفأ وزرائه وأوفى أصدقائه ، وكفى بذلك وبالا على الطرفين ؟ نعم ، قد يكون ذلك بعض ما قصدوا إليه من حفظ الكتاب . وليس ببعيد أن يكون البرامكة — وقد حاروا في أمرهم لكثرة ما يرميهم به الفضل من مكائد — قد عمدوا إلى حفظ ذلك الكتاب حتى يجدوا فيه جوابا شافيا لكل ما يعرض لهم من أسئلة ، ومخرجا مما يقعون فيه من مآزق ، وإرشادا لما يمكن أن يلتزموه من أساليب الحيطة والحذر . والحكمة حينئذ في وضع الكتاب في قالب شعري واضحة ، فإن الشعر أيسر في الحفظ وأخف على اللسان ؛ ولذلك كان مستودع المثل السائر والحكمة البالغة منذ القدم ، ولاشك أن فنا كهذا

شأنه أكثر ملاءمة لمجلس الخليفة من التتر

وأما ما كان من إيحاء يحيى بن خالد إلى أبان بأن يقول شيئا فى الزهد ، مع ما يعلمه من أن الزهد ينبعث من النفس ولا يفرض عليها ؛ وما يعلمه أيضا من أن أبانا كان رأسا من رؤوس الزنادقة فى عصره ، فأمر أريد به النيل من أبى العتاهية الذى كان يحتكر (١) ذلك الفن الأدبى ، ويبنى عليه صرح عظمته الشعرية ، ولا أدل على غيرته على ذلك الفن وحرصه على ألا يشاركه فيه أحد ، من انزعاجه حين علم يوما أن أبا نواس قد بدأ يقول الشعر فى الزهد ، ثم ما كان من إرساله رسولا إلى أبى نواس يحذره أن يقول شيئا فى الزهد ؛ ويخبره أن ذلك فن اخترعه هو وسيحميه من كل مغير عليه أو مشارك فيه ، ويظهر أن أبانا لم يستطع إقحام نفسه فى عالم الزهاد ، لما عرف عنه جيدا من انتمائه إلى دنيا الزنادقة ، ولما كان لابد له من من الاستجابة لمولاه فى صورة من الصور ، فقد أخذ ينظم الأشعار فى العبادات من زكاة وصلاة ونحوها ، وكأن أبانا قد أراد أن يذكر أبا العتاهية بالأثر المشهور (ما تقرب عبدى بشئ أحب إلى مما افترضته عليه » ، وأن يخبره بأنه يجب على المرء أن يشغل نفسه بالعبادات ، لا أن يطيل الحديث عن الموت والقبور وما تؤدى إليه من خراب العالم ودماره ، مسميا ذلك زهدا وورعا

وأما ما أورده الصولى من أن أبانا قد أنشأ قصيدة سماها ذات الحال ، وقد أودعها شيئا من الغلط ، وأن بعض الناس كان ينسبها إلى أبى العتاهية ، فدليل جديد على أن أبانا كان يعارض أبا العتاهية فى شعره ، ويحاكيه محاكاة شديدة ، حتى اختلط أمرهما على الناس ، وصاروا ينسبون ما لأحدهما للآخر

والآن وقد عرفت رأينا فى الدوافع المختلفة التى أفضت إلى ما حدث من تحول فى حياة شاعرنا من مرح إلى كآبة ، ومن تفاؤل إلى تشاؤم ، لعلك متطلع إلى معرفة آراء السابقين فى ذلك . ونحن حين نحاول الإشارة باختصار إلى تلك الآراء ، نرجو من القارئ أن يتذكر ما قدمناه فى صدر بحثنا من أن الشاعر كان ملتويا فى التعبير عن آرائه ، لما كانت تتضمنه أحيانا من مهاجمة الخلفاء والوزراء ، ولذلك كان من الصعب أن يصل مؤرخو الأدب إلى أغراض الشاعر الحقيقية ، إلا إذا توفروا على دراسته دراسة تحليلية ، وأوتوا الزمن الكافى لمثل تلك الدراسة ، وذلك مالم يحظ به الشاعر من قبل ، وهكذا عاش شاعرنا مجهولا حتى أمس القريب ، لا يعرف عنه الناس إلا أنه كان زاهدا ، وذلك ما نرجو أن ينتهى هذا البحث إلى نفيه عن الشاعر نفيا تاما

ومع أننا قد اعتمدنا فى تكوين رأينا عن الشاعر على دراسة بيئته وطفولته ثم أشعاره دراسة هادئة مطمئنة ، فإننا نظام القدماء إذا لم نذكر أنهم أيضا قد أوردوا بعض لمحات يمكن أن يهتدى بها السارى فى دياجى تلك الحياة المعقدة الغامضة ، ونعنى حياة شاعرنا . من ذلك ما أورده الأغانى من محاورات دارت مع الشاعر أو دارت حوله ، أو أبيات شعرية قيلت فيه من أعدائه ومنافسيه ، وكل ما يقال عن تلك الأخبار أنها كانت سلبية ، ونعنى بذلك أنها مما أكدته من بخل الشاعر الشديد وحرصه العظيم على جمع المال ، قد نفت أن يكون الشاعر قد نهج نهجه الجديد فى الحياة ، الذى يبدأ عام ١٨٠ هجرية تحت تأثير ميل حقيق إلى الزهد كما نعرفه نحن ، ولكنها تقف مكتوفة اليدين عند ذلك الحد ، فلا تذكر لماذا إذن ليس ملابس الزهاد وأكثر القول فى الزهد

من ذلك تلك المحاورة التى دارت بينه وبين ثمامة بن أشرس حينما قال الشاعر :

ألا إنما مالى الذى أنا منفق ... وليس لى المال الذى أنا تاركه

إذا كنت ذا مال فبادر به الذى ... يحق وإلا استهلكته مهالكه

فقال له ثمامة : إن كنت تؤمن بما تقول ، فلم تحبس عندك سبعا وعشرين بدرة فى دارك ، لا تأكل منها ولا تشرب ولا تزكى ، ولا تقدمها ذخرا ليوم فقرك ؟ فقال يا أبا معن والله إن ما قلت لهو الحق ، ولكنى أخاف الفقر والحاجة . ومن ذلك أيضا ما رواه صاحب الأغانى عن العباس بن عبيد الله قال : كنا عند ثم بن جعفر بن سليمان وعنده أبو العتاهية ينشد فى

(١) لنا عود إن شاء الله تعالى الى هذه النظرية

الزهد فقال ثم : ياعباس اطلب الساعة الجاز(١) حيث كان ولك عندى سبق فطلبته، وحين حضر مجلس ثم وجد أبا العتاهية مازال ينشده فى الزهد ، فأنشأ الجاز يقول :

ما أقبح التزهيد من واعظ يزهد الناس ولا يزهد
لو كان فى تزهيده صادقا أضحى وأمسى بيته المسجد
يخاف أن تنفد أرزاقه والرزق عند الله لا ينفد

فلو علم ثم أن أبا العتاهية صادقا فى التعبير عن شعوره حينما يقول فى الزهد لما عبث به كل ذلك العبث ؛ ولما أغرى الجاز به

ولكن إبراهيم بن المهدى يخطو خطوة إلى الأمام ، فيذكر بعض ما كان يدفع الشاعر إلى القول فى الزهد :

لا يعجبنك أن يقال مفوه حسن البلاغة أو عريض الجاه
إنى رأيتك مظهرا ازهادة تحتاج منك لها إلى أشياء

فهو يبدى شكه الشديد فى صدق الشاعر فيما يدعيه من زهده، ويعتقد أنه إنما يقول ما يقول كى يبنى له جاها بين العامة الذين يستهويهم كل ما يدور حول الدين من أحاديث . أو لعله يشير إلى ما كان للشاعر من نفوذ وصولة نتيجة لاتصاله بالفضل بن الربيع وزبيدة

ولعل أكثر الناس معرفة بأسلوب أبى العتاهية فى الحياة هو أبو العلاء المعرى ، وقد دون رأيه فيه فى مقطوعتين من الشعر يقول فى إحداها :

الله يرفع من يشا ء رتبة من بعد رتبه
أظهر العتاهى نسكا وتاب عن حب عتبه
والخوف ألزم سفيا ن أن يحرق كتبه

فأنت ترى شك أبى العلاء فى نسك أبى العتاهية وسخريته منه واضحة فى البيتين الأولين ، ويزيد البيت الثالث ذلك الشك تأكيدا بما يعتقده من مقارنة بين حال شاعرنا وحال سفيان الثورى الذى دفعه خوفه من الخليفة إلى تحريق (٢) كتبه . وكأن أبا العلاء يريد أن يشير إشارة لطيفة إلى أن أبا العتاهية إنما تظاهر بالزهد ، وأكثر من القول فيه ليستر ما كان يضمره للخليفة من بغض ، وأنه كان يعنى الخليفة نفسه بكثير مما كان يقوله فى ذلك الباب على نحو ما سنشرحه بعد

وفى المقطوعة الأخرى يقول أبو العلاء :

أرى ابن أبى إسحق (٣) أسحقه الردى
وأدرك عمر الدهر نفس أبى عمرو
تباهوا بأمر صيروه مكاسبا
فعاد عليهم بالخسيس من الأمر
بكسوة برد أو بإعطاء بلغة
من العيش لا جم العطاء ولا غمر
فلا يضع الله الساعى فى النقى
فمن يسع فيها لا يخف غبن الدهر

أما ما قاله الكوفى (٤) فى الزهد مثل ما

تغنى به البصرى فى شفة الخمر

فأبو العلاء يدعو أهل العلم والأدب هنا أن يسموا بأذيهم فوق حاجات بطونهم وأجسادهم ، وأن يهدفوا فيما يقولون إلى أغراض أسمى وأنبل من أغراض هذه الحياة الفانية . وبيته الأخير ظاهر فى تأييد ما ندعو إليه خاصا بزهد أبى العتاهية ، إذ لا يرى فرقا كبيرا بين زهديات أبى العتاهية ، وخمريات أبى نواس ، حيث أن كلا منهما كان يجرى بشعره وراء غرض مادى ، وإن اختلفا فى الطريقة والمذهب

أما المستشرقون فهم فى نفس الحيرة والاضطراب التى كان فيها الأوائل حول مقاصد الشاعر ، ويقترب نيكلسون منا اقترابا شديدا ، حين يشير إشارة خفيفة فى هامش كتابه L.h.A ، إلا أن أبا العتاهية ربما كان قد ترك مجلس الخليفة ومال إلى الزهد لكراهيته للحياة التى كان يحياها شعراء البلاط فى ذلك الوقت

محمد عبد العزيز الكفراوى

(١) الجاز بن أخت سلم الخاسر ، وقال هذه الأبيات انتقاما لخاله الذى قال فيه أبو العتاهية

تعال الله يا سلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال

(٢) ذكر صاحب تاريخ بغداد أن سفيان أخفى كتبه حين تخوف الخليفة

(٣) أبو إسحق وأبو عمرو كانا عالمين بالعربية طال بينهما الجاج والخصومة الأدبية

(٤) الكوفى أبو العتاهية والبصرى أبو نواس

زعماء التاريخ :

مصطفى كمال أتاتورك

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

« لم يكن مصطفى كمال . رجلا من رجال المصادفة والحظ . يرفعه الى البطولة خلو الميدان . ويدفعه الى الزعامة غباء الأمة . وإنما كان من الصفوة المختارة الذين يضع الله فيهم الهداية للعظيم الذى يوشك أن يضل . : والحيوية لشعب الذى يأبى أن يموت .. »

« الزيات بك »

— ١ —

يقال إن التاريخ يخلق العظماء ... إذ يتيح لهم فرص الزعامة ... ويمهد لهم سبل العظمة ... كما يقال إن الزعماء يخلقون التاريخ ... لأنهم يغيرون اتجاهاته ، ويؤثرون فى أحداثه ... ويعملون على تكوينه وخلقه بصورة جديدة ...

والواقع أن للزعامة أسباباً عامة ... متصلة بتاريخ الأمة ... وأسباباً خاصة متصلة بحياة الزعيم ، بحيث لا نستطيع أن نرجعها إلى تاريخ الأمة وحده ، أو لظروف داخلية معينة ... كما أن تاريخ الدول — قديمها وحديثها — متأثر بسياستها الداخلية ... وظروفها الدولية ... لهذا يتأثر التاريخ بحياة العظماء ... ولكن العظماء ليسوا كل شئ فى تاريخ الدول ...

* * *

وزعماء التاريخ يظهرون فى غالب الأحيان ... حينما تشتد ببلادهم الأزمات ... ويتعقد الموقف السياسى ، ويختل الميزان الاجتماعى والاقتصادى ... وتنحرف الأمور من سيرها المستقيم ... حينئذ يشعر الزعماء بآلام شعوبهم أكثر مما تشعر ... ويدركون الأخطار المحيطة بها أكثر مما تدرك ... ويفكرون التفكير العميق فى معرفة أسباب الداء ... ووصف الدواء ... ثم يأخذون بيد بلادهم ... ويشيرون أمامها السبيل ... ويهدونها إلى الحق وإلى صراط مستقيم ...

وتاريخ الشعوب فى مختلف العصور والأزمان . . . حافل بكثير من الزعماء والقادة . . . سواء كانوا زعماء سياسة ، أو قادة فكر ، أو أبطال حرب .. وهؤلاء جميعاً ساهموا بنصيب كبير ، وقسط وافر فى نهضة بلادهم ...

ولقد ظهر فى العصر الحديث — فى الشرق والغرب على السواء — زعماء كثيرون . . اتصف معظمهم بالجرأة والحزم .. وسرعة البت فى الأمور . . وكان لكل منهم أثره فى تكوين الأمور .. وتشكيل الحوادث .. وتوجيه الأمم .. من بين هؤلاء مصطفى كمال فى تركيا .. وهتلر فى ألمانيا .. وموسوليني فى إيطاليا ..

* * *

ظهر مصطفى كمال فى تركيا بعد الحرب الأولى .. وقد خرجت منها مهزومة ذليلة .. ولم تكن الهزيمة فى تلك الحرب أول الكوارث التى لحقت بتركيا .. فقد انتزعت القوات البريطانية من الأتراك سوريا وفلسطين والعراق خلال الحرب .. كما سبقتها هزائم الحروب مع إيطاليا ودول البلقان .. كما سبقتها أزمات إنشاء الحكومة النيابية .. وقد زاد فى حرج الحالة بعد انتهاء الحرب .. احتلال اليونانيين لكثير من الولايات التى كانت تابعة لتركيا ، ونزولهم فى أزمير ...

كان العالم كله يتوقع أن الأتراك وهم على هذا الحال من الضعف .. ان تقوم لهم قائمة قبل عشرات السنين . وإذا بهم يخيبون ظن الدول .. ويعملون على إحياء تركيا وبعثها من جديد ... وكان ذلك بفضل زعيمها العبقرى « مصطفى كمال ... »

رأى مصطفى كمال ... أن من الواجب العمل على قيام حركة قومية نضالية ... تهدف إلى الاستقلال والحرية والكرامة .. وتعمل على توحيد قوى الأمة .. ومقاومة كل حركة أجنبية .. لذلك ترك القسطنطينية .. مركز الدولة العثمانية .. ورفع علم القومية العثمانية فى أنقرة .. بعيداً عن مرمى مدافع الحلفاء .. وهاجم جيوش اليونان .. فردهم على أعقابهم خاسرين . .

وكان مصطفى كمال يؤمن كل الإيمان بحيوية الأمة التركية .. واستعدادها للنضال فى سبيل الحرية والكرامة والعزة .. وكان إيمانه بوطنه أكبر مشجع له على العمل .. وخير دافع له

للنهوض ببلاده .. لذلك أثار حربا دامت ثلاث سنوات من سنة ١٩١٩ — ١٩٢٢ م .. استطاع بعدها أن يملي شروطه على الدول الأوربية الكبرى .. فمزق معاهدة « سيفر » التي كانت الحكومة الشرعية قد قبلتها .. وأجلى اليونان من الولايات التي كانت قد احتلتها ، وأرغم الدول على التسليم باستقلال الوطن التركي في معاهدة « لوزان » ، وبذلك كانت تركيا الدولة الوحيدة التي رفضت صلحا يملي عليها إملاء . . أو معاهدة تفرض عليها فرضا .. ولم يكن تخليص الوطن التركي من المستعمرين إلا مقدمة لسلسلة الإصلاحات الجريئة التي قام بها أتاتورك .. والتي أعطت لتركيا مظاهر الدولة المتمدينة العصرية

— ٢ —

ولد مصطفى كمال سنة ١٨٨١ م — في مدينة سالونيك — وهي بلدة إغريقية الأصل ، وكان أبوه « علي رضا » موظفا صغيراً في الجمارك .. وأمه « السيدة زبيدة » من أسرة محافظة تتمسك ما استطاعت بالتقاليد الموروثة ، لذلك كانت أمنيتها الكبرى .. أن ترى وحيدها مصطفى في مدرسة دينية إسلامية حتى يصير شيخا من شيوخ الدين —

أما والده فكان يرغب في أن يثقف ولده ثقافة غربية .. وكان الفوز لأبيه في النهاية ، فدخل المدرسة وعمره سبع سنوات وقد غادر أبوه بعد ذلك وظيفته .. استعدادا للحياة الجديدة ، وما تتطلبه من نفقات — فاشتغل تاجر أخشاب — ... ولم يلبث إلا قليلا حتى مرض مرضه الأخير ومات قبل أن يرى ولده في المدرسة العالية —

* * *

وجدت الأم نفسها وحيدة في « سالونيك » ولم يكن هناك من يرعى شؤونها ، ويتولى أمورها .. بعد أن فقدت زوجها وعائلها .. وكان معها من هو أحق منها بالعناية والرعاية .. لذلك وجدت نفسها مرغمة — أمام قسوة الحياة — لأن تنتقل مع صغيرها .. إلى منزل أخيها .. وكان مزارعا في قرية قريبة من المدينة ..

وهناك في وسط الحقول .. نمى مصطفى المدرسة والعلم وأقبل على حياته الجديدة . وعاش كما يعيش صبيان القرية في أحضان الطبيعة .. ونعم بحرية لم ينعم بها من قبل في « سالونيك »

وظل هكذا عامين كاملين حتى بلغ من العمر إحدى عشرة سنة ، اكتسب فيهما خشونة الفلاحين في طباعه ، كما اكتسبها في بنائه الجسمي ، ولم يعد يرضخ لمشيئة أمه كما كان حاله من قبل

وكان مصطفى على الرغم من عناده وصلابته ، شديد الذكاء قوي الملاحظة — وكانت أمه تنظر إلى حياته الجديدة ، فتشعر بالأسف العميق لأنها لم تستطع أن تحقق الأمنية التي أرادها له أبوه ، وهو أن يدخل المدرسة العالية ، كما أنه — في نظرها — لم يخلق للقرى والحقول ، والسير طول حياته وراء الماشية ، لذلك ظلت تبذل جهودها حتى التحق ولدها بالمدرسة من جديد . .

وجعل مصطفى يتابع عمله في المدرسة بجد وعناية حتى أكمل تعليمه بها ، فاقترح عمه أن يلحقه بالمدرسة العسكرية في سالونيك ، وكان مصطفى ميالا بطبيعته لحياة الجندية ، يقول في مذكراته عن هذه الفترة « كان يسكن في البيت المجاور لنا — طالب بالكلية الحربية يدعى « أحمد » ، وكنت أحسده كلما التقيت به ، على هندامه الجميل ، وكذلك كنت كلما التقيت في الطريق بضابط يسير مرتديا ثيابه الزاهية الخلابة ، أقف مبهوتا ، وأنا أتابعه بنظري ، لذلك ما كدت أنتهي من دراستي الابتدائية حتى صممت على أن أدخل الكلية العسكرية لأصبح ضابطا أزين جسمي بالملابس العسكرية الجميلة .. »

التحق مصطفى بالمدرسة العسكرية ، فأظهر نبوغا وتفوقا على أقرانه ، مما جعل أساتذته يوصون بنقله إلى مدرسة حربية أخرى ولما أكمل علومه بالمدرسة الجديدة ، التحق بمدرسة أركان الحرب في القسطنطينية حيث تخرج فيها برتبة « يوزباشي »

وكان مصطفى خلال هذه الفترة قد تطور تطوراً غريبا ، فلم يعد ذلك الطفل الصغير الذي يلهو عابثاً في الحقول ، أو يتشاحن مع أحد أقرانه لأمر تافه بسيط ، فقد تعلم الفرنسية أثناء دراسته وقرأ كثيراً من الكتب الثورية مع صديق له يدعى « نجمي » قرأ فولتير وروسو ، وهوبز ، وجون ستيوارت ميل ، كما اشترك في جمعية « الوطن » وهي جمعية سرية تعمل على محاربة الاستبداد

من يسمع ؟

مهداة الى الأستاذ الحوماني

للاستاذ خليل رشيد

تفضل الأستاذ الحوماني قبل هنيهة من الزمن فأولاني ثقته لشرف المساهمة في كتابه من يسمع ؟ وها أنا أجيب دعوة الأستاذ الحوماني شاكراً له ثقته الغالية ، راجيا تفضله بالقبول :

من يسمع ؟

من يسمع عنوان جديد لكتاب جديد من مبدعات الأستاذ الحوماني وضعه بعد خروجه عن ألف فكرة لألف رجل في كتابه مع الناس . وللأستاذ الحوماني فكرة واحدة يعتز بها هي إيمانه بقول المنقذ الأعظم صلى الله على ذاته الزكية : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ..

والكتاب فكرة لم تولد بعد . ولكنا نلمس روح الثورة والتمرد على المجتمع وعاداته المكبوتة في نفس الأستاذ التي ينبيء بها عنوان كتابه من يسمع ؟ وأكاد أسمع بحة صوته وهو يبث شكاته وأذاته من صدى عنوان كتابه هذا . وأستطيع أن أرى سحنة وجهه وقد بدت عليها سورة الغضب . وثورة الأديب ، وإني لأستشف قلبه وقد سطر عليه كلمة من يسمع ؟

أي نعم يا أستاذ

أصرخ ملء فمك

اغضب ملء جمجمتك

تألم ملء قلبك

فليس هناك من يسمع . ولن تجد من يسمع . ولو أخرجت ألف كتاب وكتاب على غرار فلان (١)

من يسمعك .. من يصغي لصرير قلبك .. من يسمع قلمك القاسي المرير وهو ينشد أنشودة الإصلاح . ويرعف بالم الحق الذبيح صابا وعلقما على صفحات فلان ؟

من يسمعك . وأنت ترجع لحنا حزينا . وتنشد نشيدا مؤلما فيه عنف الموت وصرامته على قيثار فلان ؟

من يسمع هذا اللحن الحزين والكل ثمل بكأس حواء (٢) يتغنون بوحي الدموع والنهود والقبل ؟

وقد جن الناس بالثر المجنون . فهم بين لاه بالثر وعابث بالعفاف . ليس هناك من يسمع ، أو يصغي لحديث فلان ، وأنشودة فلان ، وفيه صرامة الحق ومرارة الصراحة

من يسمع كلمة الحق وصرامة القول فيها . ومن يستسيغ مشرب كأس ماؤها صاب وعلقم . وأي مسمع لا ينبو النغم الشاكي الحزين ؟

من يسمع كلمة المصلح وهو يدعو إلى بيع موت عاجل بحياة آجلة ؟ من يصغي لحديث الرشد وهو يدعو إلى قتل اللذة المرذولة وموت العاطفة وكبح الشهوات . والانضمام تحت راية العقل ؟

من يسمع فرزة مبضع الجراح وهي تستأصل شأفة الداء . ولا تتقزز نفسه ؟

من يسمع نداء الضمير وهو يصرخ من الأعماق بمواساته

---

(١) فلان . ديوان شعر للاستاذ الحوماني

(٢) حواء ديوان شعر آخر للاستاذ الحوماني

السياسي ، وتحطيم القيود الأجنبية ، وأخذ يكتب النشرات الحماسية ناقداً فيها سياسة السلطان ورجال الدين وداعياً إلى تحطيم القيود ، ومحاربة الظلم والاستبداد ، على اختلاف صوره

كانت تركيا في ذلك الوقت تحت حكم السلطان «عبد الحميد» الذي وقف عقبة في سبيل الحركات الإصلاحية الكبرى ، والذي ألغى مجلس النواب ليصبح الحاكم المطلق في تركيا — والذي فرض رقابة شديدة على الشعب ، حتى ذكروا أنه ما من ثلاثة تكلموا معا في أمر من الأمور إلا وكان أحدهم جاسوسا للسلطان « عبد الحميد ... »

ولذلك لم تمض فترة طويلة حتى استطاع جواسيس السلطان القبض على زعماء جمعية الوطن ، وتقديمهم إلى المحاكمة ، وبذلك أبعد مصطفى كمال عن القسطنطينية ونفي إلى بلاد الشام ...

(الكلام بقية) عبد الباسط محمد حسن

مصادر التاريخ الحضرمي

للأستاذ أحمد عوض باوزير

تمهيد :

هناك حقيقة تاريخية ثابتة ينبغي مراجعتها ، قبل البدء في الحديث عن « مصادر التاريخ الحضرمي » . ومن المؤرخين المحدثين الذين فطنوا إلى أهمية هذه الحقيقة ، السيد علوي ظاهر الحداد ، مؤلف كتاب « الشامل » . فقد ورد في رسالة له أسماها « جنى الشماريخ » ما يفيد في تقرير هذه الحقيقة

وفحوى هذه الحقيقة التاريخية ، هو أن التاريخ السياسي القديم ، لحضرموت لا يمكن دراسته منفصلا عن تاريخ اليمن الكبير ، أو عن تاريخ الإسلام في الجزيرة العربية حتى إلى ما بعد نشوء الدول الكثيرية ، في أواخر القرن الثاني الهجري . ويقال في تعليل قيام بعض الحكومات القبلية ، واستقلالها أثناء هذه الفترة الزمنية ، أن ذلك كان نتيجة لأحوال الضعف المادي والأدبي ، في حكومات اليمن المتعاقبة ، أو في عاصمة الخلافة الإسلامية

ومما يفيد في تقرير هذه الحقيقة كذلك انتشار الفرق الدينية في حضرموت ، فإن ذلك الانتشار يعني امتداد النفوذ السياسي والإداري ، إلى هذه الرقعة من الجزيرة العربية . وأظهر هذه الفرق « الأباضية » ثم « القرمطية » . وكان ظهورها أيام اضطراب دول الزياديين في اليمن ، في أواخر القرن الرابع الهجري و « الإسماعيلية »

ما هي مصادر التاريخ الحضرمي :

وإذا كنا قد أثبتنا هذه العلاقة بين تاريخ حضرموت ، من جهة ، وتاريخ اليمن أو الجزيرة العربية ، من جهة ثانية . فيحسن بنا أن نتساءل . ما هي مصادر التاريخ الحضرمي إذن ؟ وما هي نوع العلاقة في هذه الوحدة السياسية والاقتصادية ؟

والجواب على أولها ، هو أن هناك كثير من المصادر التاريخية ، بأقلام جهرة من الحضرميين النابهين ، غير أن أهمها قد ضاع ، ولم يبق منها غير مقتطفات ، أو شذرات متفرقة . ومن هذه المصادر تاريخ « بازرعة » وتاريخ « حنبل » وكتاب « الفرج بعد الشدة في إثبات فروع كندة » وتاريخ « الشبلي » و « شنبل » وغيرهم من المؤرخين . وحتى هذه المصادر لا يمكن أن تؤخذ على علاتها ، دون الرجوع إلى الأحوال العامة ، في تاريخ البلدان المجاورة التي يتصل تاريخها السياسي اتصالا وثيقا بسير الأحوال في البلاد الحضرمية

أما عن نوع العلاقة ، في هذه الوحدة السياسية والاقتصادية بين حضرموت وغيرها من الدويلات في الجزيرة العربية ،

الضعيف وصلة الرحم ونصفة المظلوم . ونبذ العداوة والبغضاء ونزع ما في الصدور من غل ؟

من يسمع كتاب الله وهو يدعو إلى ما فيه الخير والصلاح والنفع العميم للبشر ؟

من يسمع دعوة الرسل والمبشرين لطريق الهدى والصلاح . ومن يسمع دعوة الأديب وهو يدعو إلى ارتقاء المثل العليا والمثل العليا صعبة المرتقى ؟

من يسمع دعاة العقل والفضيلة وفيها ما فيها من جهد وكفاح ؟

نعم أيها الأستاذ ؟

لن تجد من يسمع لضياع الموازين وفقدان المقاييس . وضيعة الأخلاق ..

لن تجد من يسمع . وليس هناك من يسمع ولن يسمع فلان . وليس هناك من يسمع فلان .. ما دام فلان .. لا يريد أن يسمع قول الحق . وكلمة الصراحة وكل الناس على شاكلة فلان حتى أنا وأنت :

وإن أبيت إلا أن تسمع هؤلاء الصم شكاتك . فاصرخ ملء فيك حتى تتمزق رئتاك وحنجرتك وردد

من يسمع ؟

فلن تجد من يرد عليك غير صدى بعيد من أغوار الماضي وأعماق التاريخ

لقد أسمعت إذ ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

خليل رشيد

فذلك يعنى تفصيل الحكومات السياسية التى تعاقبت على اليمن منذ صدر الإسلام ، إلى وقت اتفصال حضر موت نهائيا من حكومات اليمن فى أواخر القرن الحادى عشر كما تذهب إليه

ومن العسير جدا على الباحث فى تاريخ هذه الحكومات المتعاقبة ، أن يهتدى إلى تحديد هذه العلاقة ، تحديدا شاملا . فإن المجال لا يزال مفتوحا للدراسات التاريخية ، وهذا النقص يكاد يكون ملحوظا للمعنيين بدراسة تاريخ الجزيرة العربية : ولذلك فإننا عاجزون حتى الآن عن تحديد تلك العلاقة ؛ لأن ما لدينا من المباحث العلمية والمراجع التاريخية لا يكفى فى تقرير هذه الحقائق تقريرا ضافيا ومفيدا

كيف ضاعت هذه المصادر :

ويذهب السيد الحداد برسالته « جنى الشماريخ » فى تعليل أسباب ضياع تلك المصادر التاريخية التى أشرنا إليها آنفا إلى انتشار البداوة والجهل بين سكان حضر موت ؛ لأن انتقال تلك المؤلفات إلى أيدى أولئك النفر من الجهلة ، معناه الإهمال والضياع

وربما كان هناك من يريد أن يسأل : كيف أمكن نبوغ تلك الفئة من المؤرخين ، وسط تلك الجهالة المتفشية . ولا إخال أن « الحداد » كان ينتظر بداهة هذا السؤال ، فقد أثبت فى موضع آخر من رسالته السابقة « أن الذين قدر لهم الإقبال على العلم منهم فى تلك الأزمة إنما تهيأت لهم أسباب خاصة ، تيسر لهم معها التفرغ لذلك »

وأنا وإن كنت أوافق « الحداد » فى بعض ما ذهب إليه فى تعليل أسباب ضياع المصادر التاريخية ، غير أنى أعتقد أن هناك سببا أقوى ، وهو أن المتأخرين من المتعصبة ، قد رأوا فى سيرة الأسلاف ما ينكرونه عليهم من المذاهب أو النحل . فعمدوا إلى إخفاء تلك المؤلفات وطمسها ، فى بعض الأحيان . وقد ذهب إلى مثل هذا الرأى بعض ذوى النظر والباحثين

محاولات فى التاريخ الحضرمى :

ظهرت فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى ، محاولات أولية فى تدوين التاريخ الحضرمى القديم ؛ وهى محاولات بدأت ضيقة ، ثم أخذت تتسع تدريجا ، فقد ظهر كتاب « الشامل » لمؤلفه السيد علوى الحداد . وكتاب « تاريخ حضرموت السياسى » للأستاذ صلاح البكرى ، وكتاب « تاريخ الدولة الكثيرية » للسيد محمد بن هاشم ، وكنت قد اطلعت على نسخة خطية ، بالمكتبة السلطانية بالمكلا من كتاب « التابوت » للسيد عبد الرحمن بن عبيد الله

وأستطيع أن أجزم أن هذه المؤلفات على الرغم من حداثتها لا تخرج عن سرد الحوادث سردا عاما دون تعمق أو تصويب . وقد اعترف السيد « ابن هاشم » فى كتابه « تاريخ الدولة الكثيرية » بهذه الحقيقة ، فقال فى مقدمة الكتاب : « وبعد فقد التزمنا على أنفسنا فى هذا الكتاب أن نكتب ما عثرنا عليه فى كتب التاريخ من أخبار القوم مجردة من الملاحظات والانتقادات والأخذ والرد والتحليل والتركيب »

ويحاول السيد ابن هاشم أن يبرر هذا المسلك التاريخى بقوله « ولست أجد لى حقا فى مؤاخذتى أشخاصا على سلوك مسلكوه أناخت على علله وأسبابه السنون ، ودفنت مبرراته ومسوغاته غوائل القرون »

ونحن لا نقر السيد « ابن هاشم » وهو الكاتب الأديب على هذا النحو من التفكير . وسواء أكانت المبررات التى زعمها صحيحة أم غير صحيحة فإننا كنا نتوقع أن يعمد إلى « المول » لنبش الحقائق وغربلتها ، وأن يبرأ من تلك الشفقة والرحمة ، لأنها لا تجدى فى سبيل الوقائع التاريخية أو لا تفيد كثيرا

وأود فى ختام هذا الحديث القصير أن أشيد بأسلوب « ابن هاشم » فى الكتابة : ذلك الأسلوب الأدبى الرصين الذى يطالع القارئ من حين لآخر ، فى أكثر من مكان من الكتاب

هذه فذلكة عن « مصادر التاريخ الحضرمى » أقدمها فى أنسب الأوقات وأصلحها ، لعلها تفيد فى إنارة السبيل للمعنيين بدراسة التاريخ الحضرمى القديم وتعين على فهم الحقائق التاريخية الكبرى

قيل باوزير — أحمد عوض باوزير

رد على نقد

حول «مذكرات واعظ أسير»

للأستاذ أحمد الشرباصي

شاء الكاتب الصديق الشيخ كامل السيد شاهين أن يملأ أكثر من ثلاث صفحات في «الرسالة» الغراء بالحديث عن كتابي الأخير: «مذكرات واعظ أسير». ومن حق القراء على الرسالة أن يفسح صدرها لكلمة النقد كما يفسح لكلمة التقدير؛ ولكن الواجب المسلم هو أن يكون الحديث ذا بال، وأن يكون النقد ناهضا على أساس متين من الحق والصدق، حتى يسلم من الهوى والظنة، ويرتفع عن السباب والمهاترة

ولقد بسط الشيخ شاهين رداء الحديث في صدر كلامه مادحا مطريا، ثم جمع أطرافه على وخزات من النقد يحسبها في الموضوع، ويراها مصطنعة ليبدو الكاتب وكأنه يعادل بين التأييد والتنفيد، حتى يقال له: ما أبرعك مادحا وقادحا؛ وهيهات!..

وعلى الرغم من مقدمة الكاتب العريضة المشعرة باستفادته من الكتاب وتأثره به، وعلى الرغم من أنه اعترف بأن «المآخذ» التي سيذكرها «لا تشين الكتاب» ولا تتناول موضوعه وفصوله، ولا تورث صورا إلا «كلفا من بعض الجوانب» فقد شاء له حرصه على الإفاضة في القول أن يملأ صفحتين بالدوران حول هذه الملاحظات التي لا تشين ولا تتصل بالموضوع

ويؤسفني أن أقرر أن أولى ملاحظاته ينقصها الصدق، فقد ادعى علي أنني أكثرت في كتابي من ذكر «أني خطيب، وأن لي جهودا ملحوظة في نشر الدعوة، وأن لي أتباعا وأنصارا»..

وأين ذلك في الكتاب أيها الصديق؟ لعل حديثا جرى عن طريقة المؤلف في خطابته، وعن حرصه على وصل المنبر بالحياة الاجتماعية، وهذا لا ضير من تقريره، لأنه رسم طريقة وتحديد توجيه؛ ولكل امرئ إذا كتب «مذكرات» تحدث عن مثل هذا وأضعافه، ولا يعاب ذلك ولا يذم... ولعل حديثا جرى على قلم صاحب «مذكرات واعظ أسير» من رواد مسجد النيرة — على أيامه أطيب التحيات — وهؤلاء الرواد كانوا من غير شك يؤلفون مدرسة إسلامية متواضعة تحدث الناس عنها هنا وهناك... أما وصف المؤلف نفسه بأنه خطيب وبأنه عظيم الجهود وبأن له أتباعا وأنصارا، فحديث مصنوع أو موضوع!

وآلم السيد شاهين ما جاء في خاتمة الكتاب من تحايا الشعراء والأدباء المؤلف بمناسبة الإفراج عنه والفرحة بعودته إلى حياة الحرية والانطلاق، وشاء أن يعبر عن ألمه بهذا الحكم الصارم — أو الوارم —: «فسائر هذه التقريظات غاية في الفثاثة والتفاهة» ومن السهل على كل إنسان أن يصدر مثل هذه الأحكام العامة التي ينقصها الرشد والتبصر. ولعل الكاتب لم ينس أن العرب اختصروا الطريق في حكمهم على القرآن المجيد فقالوا إنه «أساطير الأولين»!... ومن المؤسف مرة أخرى أن أذكر الشيخ شاهين بأن هذه التحايا لم تكن تقريظات. ولم يستكتبها أستاذ من طلبته كما زعم متجنيا، بل هي صور عواطف ومشاعر لإخوة كرام سبقوا بها قبل ظهور الكتاب بشهور ونشر أغلبها، وأصحابها لهم مكانتهم الأدبية وماضيهم الشعري، ولذلك عنوت بعنوان «تحية وذكرى»، ومن الطريف — وليس مما يعاب كما توهمت — أن تسجل العواطف المتبادلة بين التلاميذ الأحباء والأساتذة الأوفياء — وبعد النظر عن غير هؤلاء فهم كالهباء — ... وهل يعد غاية في الفثاثة والتفاهة قول أحد المحبين:

عفواً إذا زل مما قلته قلمي ... برغم أن جنا زلاته الخطر
أوخذت ظلما وهذي رحمة سبقت ... من أن تؤاخذ عدلا أيها القمر

وهل يعد غاية في التفاهة والفثاثة قول الثاني:

لبيك لو قبل الفادي فديته ... أو لم يزعه ضميره التقابي؟
إني لأدخر الثنـــاء لعالم ... لاق الصعاب بعزمة الوثاب
متدرعا بالصبر، لا متراجعا ... في الحق، أو مستهدفا لعتاب

لقد أبعدت أيها الصديق، وحملت هذه التحايا مالا تطيق!

وكبرى الكبائر عندي أن يعتبر الشيخ شاهين دفاعي عن الأزهر الشريف المعمور «هفوة»! كبرت الكلمة منك أيها الصديق... الأزهر الذي رضعت لبانه وتعممت بخيرانه وسعدت بكنوزه وعلوت باسمه ينال منك هذا الجزاء؟.. ثم أنت

لا تقصد فى النقد ، ولا تكتفى بالتوجيه ، ولا تقنع باللوم ، بل تجور وتجور . فتنال جبهة الأزهر الشماء بما تشاء ، ثم تسرف فتقول وبئس ما تقول : « ألا إنه قليل للأزهر أن يلام ، وقليل لرجاله أن يتهموا بالضعف والتدليس وحب الدنيا ، وإذا كانت فعلتهم فى النكر ما هى ، فإنه لأنكر منها أن يدافع عنها ويوقف إلى جانبها » !!

أهذا كلام يقال ، ومن أزهرى ، ومن رجل يعمل تحت اسم الأزهر الشريف حتى اليوم ؟ ... دون ذلك يا صاحبى وتفترق طريقانا ... ثم إن هناك فرقا بين « الأزهر » و « الأزهريين » يا صاحبى ، فالأزهر معنى وفكرة ورسالة وتاريخ له جلاله وهيبته ، والأزهريون قوم يجوز عليهم الخطأ ، إذ ليسوا بمعصومين ، وإذا كان فيهم من فرط ، ففيهم أعلام جاهدوا ولا زالوا يجاهدون ، ومن الكفران أو الطغيان تعميم الحكم على الجميع بهذه الصورة القاسية ، وكدت أقول « الغبية » ومعذرة إليك أيها الصديق ، فقد فتحت الباب !

ومن الذى قال لك إنى « أبدت » الأزهريين جميعا وبلا استثناء وعلى طول الخط ؟ .. ألم أنتقد شيخ الأزهر الأسبق على موقفه من اعتقالى ؟ (ص ١١) و (ص ٢٥) .. ألم أسرد رأى شاب ثائر فى علماء الأزهر وموقفهم من المحنة بعبارته الشديدة المكشوفة (ص ٢٨) ؟ ... وحتى فى دفاعى عن الأزهر والأزهريين قد أشرت إلى بعض العيوب الموجودة فى البيئة الأزهرية وذكرت أسباب ذلك ودواعيه ، ولما تطاول القول فى ذم الأزهر بلا إبقاء قلت (ص ٩٨) : « إن هذا لا يليق ، وليس من مصلحة أحد ، وليس هذا أوان الطعن ، والأزهر يجب أن يصان عن التحطيم والتهديم ، وحبذا لو تركنا أخطاء الأزهريين لنقدة الأزهريين ، ويجب أن نتذكر أننا لو جردنا الأزهر من كل حسناته لما فقد المعنى الإسلامى العظيم الذى يجعله حصنا يخيف المارقين »

ثم تأتى أعجوبة الأعاجيب ، وهى أن يعتبر الشيخ شاهين تفسيرى رثاء المتنبى لشبيب العقيلى بأنه « هفوة أدبية » ولست أدرى أينا الذى هنا ، وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ؛ والحكم هنا هم القراء ، فليطالعوا كلامى فى كتابى وكلامك فى تهجمك . وليروا رأيهم .. إن تفسيرى لرثاء المتنبى على الوجه الذى أوردته ليس « تأويل نحاة » ولكنه ذوق أديب وفن بصير وحديث تاريخ ، فعد إلى دارسى المتنبى إن شئت لتفهم ، واقرأ ما كتبه الجارم فى « الشاعر الطموح » عن هذا الموقف بالذات لتعرف معنى الرثاء هنا على وجهه الذى أريد به

لقد فر المتنبى إلى مصر ، والفار يركب الصعب من الأمور ، وقد حسب المتنبى كافورا قبل أن يراه أشياء فلما رآه لم يجده شيئا ، ولكنه أصبح فى حماه وتحت سلطانه ، فليمدح عبدا ما ليس بالحسن ، وليمدح العبد الخصى الذى لا تسلب ذات عبوديته ، ولكن يعاب عليه وهو عبد بين أحرار ، وليسخر به كما يسخر الناس قائلين « يا مولانا الأستاذ » .. يا سيدنا المدبر ، يا ولى نعمتنا ، ولعنة الله على زمان يتولى السيادة فيه العبيد .. وشاهين يتخذ من مدح المتنبى لكافور شواهد على عظمة كافور ، فما رأيه فى أهاجيه التى خسف بها كافوراً إلى أسفل سافلين ؟.. ما رأيه فى هذه الأهاجى التى جعلت العبد الخصى أضحوكة فى كل فم ؟ .. وهل بعد قول المتنبى هازئا : « لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب » ؟ .. وماذا يقول الإنسان عن « الأضحوكة » من الناس أو الحيوان غير هذا يا شيخ ؟.. وهلا أدركت مبلغ سخرية المتنبى فى قوله لكافور :

عدوك مذموم بكل لسان ولو كان من أعدائك القمران

نعم ولو كان « القمران » من أعداء كافور لوصفا بالذم ؟ وعمن ؟ ... من كل لسان ... يا سلام يا سلام ! .. أبعد هذه سخرية ؟

وسقط الشيخ سقطته حين توهم أن المتنبى أطال المديح فى شبيب بعد قتله ليرى الناس أن كافورا كان ينازل خصما قويا وأنه كان أقوى به فتغلب عليه وقهره .. إنما يصح هذا فى الأذهان يا فلان لو كان كافور نازل شبيبا فى معركة ، أو صاوله مصاولة الأنداد ، ولكن لعلك لا تعرف أن كافورا قضى عليه بأسلوب الخسة واللؤم ، فدس عليه من سمه ، وتلك خطة الجبناء ، وذلك حيث يقول المتنبى :

وقد قتل الأعداء حتى قتلته بأضعف قرن فى أذل مكان

وأرجو أن تتمهل حتى تدرك مبلغ التعريض بكافور فى قول المتنبى عن شبيب :

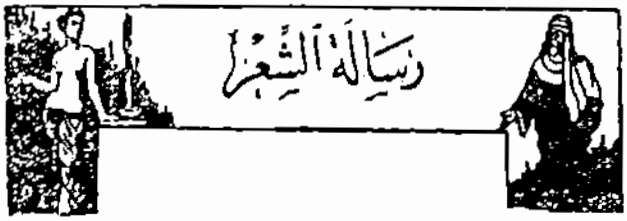

شعلة المجد

مرثية فقيد الوطن المرحوم الدكتور عزيز فهمي

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

خل العزاء فما يفيد عزاء ... ساد الظلام وغامت الأضواء

الشعلة انطفأت ، وكان وراءها ... المدلجين الحائرين رجاء

خل العزاء ودع لدمعك سيله ... متدفقا ، فهنا يطيب بكاء

خل العزاء فلست تملك منطقا ... متماسكا إن هبت النكباء

الشعلة انطفأت ، وأية شعلة ... كانت ؟ تبارك نورها الوضاء !

صك الأسى مسامعي فأحالني ... شبحا تطير بلبه الأنباء

مات العزيز ، فمات جيل كامل ... المجد تقبم خطوه العلياء

لهفي على الآمال يصدع ركنها ... قدر ، ويهدم أمن قضاء

يا راقداً في حفرة محصورة ! ... كانت تضيق بروحك الأرجاء

أي المواهب فيك أبكي إنها ... يعيا بحصر كمالها الإحصاء !

الشاعر الحي الشعور ، نشيده ... من قلبه ذوب ومن إيمانه الإيحاء

والكاتب العذب البيان ترسلا ... يزهو بسحر بيانه الإنشاء

والمدره الطلق اللسان مدافعا ... لا الجاه غايته ولا الإثراء

والنائب الحر العقيدة هاتفا ... بالحق لا ضعف ولا استخذاء

تخذ الصراحة مبدأ وعقيدة ... لم توحها حزبية عمياء

وطنية تسمو على أمثالها ... ويكل عن إدراكها القرناء

ومجاهد ثبت الفؤاد مكافح ... لم يثنه سجن ولا إيذاء

لهفي على تلك الخلال تضيعها ... في لحظة سيارة رعناء !

عوجلت والوطن الحزين بحاجة ... لمواهب لم تذكها الأهواء

شقت عليك جيوبهن حرائر ... وبكى لهول النكبة البؤساء

كم أدمع كفكفتها ، ومصائب ... واسيتها ! والنبل فيك تراء

تسمى إلى الخير العميم مطامحا ... هاماً ، فلا زهو ولا استعلاء

كنت الشباب مجملا برزانة ... والمكرمات يزينهن حياء

كنت الإخاء النبر أصفى جوهرا ... وأعز ما صدق الوفاء إخاء

حلو اللقاء سجية وطبيعة ... ما في خلالك صنعة ورياء

أدب كؤوتاق الضياء عرفته ... وشمائل علوية سمحاء

وإذا دعتك الحادثات تلفقت ... بدك الدهاء ، فلا يخيب دهاء

متقدما الموت لا متهيباً ... والموت عندك صنوه الإبطاء

ما زلت تسبقه إلى حوماته ... حتى طغت في الغفلة الهوجاء

فذهبت يا زين الشباب رواية ... للناس أروع ما روى الندماء

كانت حياتك نفحة علوية ... حسدت على النعمى بها الشعراء

ما طال عمرك في الحياة وإنما ... طال التحدث عنك والأصداء

وما كان إلا النار في كل موضع ... تثير غبارا في مكان دخان

فنال حياة يشتهيها عدوه ... وموتا يشهي الموت كل جبان

إن التعبير ينطق صارخاً : يا كافور ، أيها الجبان ، إنك لن تنال شرف الميتة التي ماتها عدوك ، فأين أنت منه يا عدو البطل الراحل ؟

ويصف الشيخ شاعر العربية المتنبي بأنه « مداح فقط » وما أثقل كلمة « فقط » هذه .. فأين حكمة المتنبي إذن ، وأين خبرته بالنفوس ، وأين تصويره للطبائع البشرية ، وأين أحكامه الدقيقة العميقة على الحياة والأحياء ؟ .. وثالثة الأثافي أن يصف المتنبي بأنه « ضيق الباع » ! .. ما شاء الله ! .. رحم الله المتنبي يوم جلجل بصوته فردد أبياته التي اختتمها بقوله :

فيا موت زر ، إن الحياة ذميمة ... ويا نفس جدي إن دهرك هازل !

أما بعد ، فللنقد أصوله وقواعده ، إذا توافرت فيه وجب الخضوع له والرجوع إليه ، وإذا عدمها كان تطاولا أو جهلا ؛ ولست أدري مبلغ القواعد التي استند إليها أو نهض عليها نقد الكاتب الصديق ، بعد ما قدمت من حديث وقل سلام !

أحمد الشرباصي

أو بعد أن لجت بنا الظلماء ... واستبهمت في الظلمة والحيناء

وتحطمت في الصخر كل سفينة ... وتناثرت في اللجة الاشلاء

وتأب الموج للغضوب فلا ترى ... إلا جبالا ساقها الهوجاء

لا الشط وضاح المعالم مشرق ... أبداً ، ولا تتكشف الأنواء

نجد العزاء ! ونحن أعجب صورة ... لا نحن أموات ولا أحياء

الشعلة انطفأت ، وأية شعلة ... تهب الضياء ، ومالها أكفاء !

خل العزاء فنحن في هول طغى ! ... في كل أفق محنة وبلاء

الأدب والنقد في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

حول محنة الأدب :

أثار الدكتور طه حسين باشا في « الأهرام » موضوع الركود الذي اعترى حياتنا الأدبية في السنوات الأخيرة ، وذكر لهذا الركود ثلاثة أسباب قال إنه يقصر الكلام عليها وإن كان هناك غيرها ، أولها الظروف السياسية وما تأتى به من فرض الرقابة على النشر ، وقد استغرقت هذه الرقابة أكثر من خمس عشرة سنة في أقل من ربع قرن ، والحرية قوام الحياة الأدبية الخصبة ؛ فإذا ذهبت أجدب الأدب وعقم التفكير

أما السبب الثاني فيسأل عنه الأدباء والشيوخ أنفسهم ويسأل عنه الناشرون معهم ، فكثير من الشباب يكتبون فلا يجدون قبولا من الناشرين ولا تشجيعا من شيوخ الأدب

وأما السبب الثالث فهو ضعف التعليم الأدبي في مصر ، فالأدب يدرس في المدارس والمعاهد والجامعات على نحو يحزن أكثر مما يسر ، وإنتاج الأساتذة ضعيف ، والمتخرجون في أقسام اللغة العربية بالجامعات لا يعرف بعضهم كيف يبحثون في كتاب الأغاني لأنهم لم يسمعوا بفهرست الأغاني الذي وضعه جويدي

وعندي أن أهم الأسباب في محنة الأدب هذه الطبقة من رؤساء التحرير البعداء عن الأدب ، فقد كان يشرف على تحرير الصحف في الأيام التي ترحم عليها العميد إذ كانت تتنافس فيها الصحف أيها يكون أشد عناية بالأدب — كان يشرف عليها أدباء أمثال أنطون الجميل وعبد القادر حمزة وحافظ عوض وأمين الرافعي ، ثم خلف من بعدهم « شميط ومميط و ... » ممن حرموا نعمة الطبع الأدبي وبعدوا كل البعد عن الثقافة الأدبية

وزعم هؤلاء أن القراء لا يريدون أدبا . . لأنهم أنفسهم

نشكو الصبابة في هوى أوطاننا ... وقلوبنا عصفت بها البغضاء !
متنابذين وحولنا أسد الشرى ... قد حددت أنيابها الزرقاء !
متنافلين عن الخطوب وقد سمت ... أشباحها الجنية السوداء !
سيمون عاما لم يعظنا هولها ... أبداً ، ولم يتنبه الحكماء
نحن الأسارى في القيود نظنها ... حليا فتأخذنا بها الخيلاء
ماذا كسبنا بعد طول جهادنا ؟ ... الكسب غرم ، والجهاد هباء !
حرية الوادي رواية ساخر ... كل الفصول شبيهة وسواء !
يا مصر حظك في الرجال مرزأ ... لا كانت الأدواء والأرزاء
أو كلما قدمت خطوة ظافر ... عادت تقهقر خطوك الشحناء !
أو كلما استكملت عدة مؤمن ... بالحق قص جناحك الأعداء !
يا مصر حظك عاثر ، وعثاره ... أن ينطوي أبناؤك الأمناء
كان « العزيز » بطولة مذخورة ... لغد ، فمات به غد ورجاء
قل للنظير له وما أقصى المدى ... حتى يلوح مع الغد النظراء !
يا أمتي ! يا أمة الألم الذي ... بلغ المدى ، لا مسك الضراء !
مذ اختلفنا في الجهاد طوائفا ... ما ضمنا في وحدة زعماء
حتى فقدت عزيزك الحر الهوى ... فتوحدت في النكبة الأنبياء
يبكونه بدم القلوب موسداً ... نعيت به الحرية الشهاء

كان الإباء مجسدا في رقة ... فتوى مع الخلق الرقيق إباء
كان الكفاح مبرأ ومنزها ... فضى المكافح والضمير براء
للحق عاش ، وفي سبيل قيامه ... مات النافح عنه وهو فداء !

أبا شهيد الحق إن فجيعة ... نزلت بساحك خطبها مشاء
في كل عين دمعة مهراقة ... وبكل قلب لوعة ورثاء
طوت المنون ذخيرة أعددتها ... لم يرخم القلب اللهيف قضاء
للمجد أنت نذرته ووهبته ... والنذر عند الله فيه جزاء
والمجد جسر متاعب رقدت على ... جنباته الرواد والشهداء
أنجبت للوطن الكريم فتى له ... في المكرمات صحائف غراء
ورث الشجاعة عنك وهي عزيزة ... في الناس حين تجابه الآراء
ورث النزاهة عنك وهي يتيمة ... في الناس حين تفاضل الأسماء
يا باكيا من قلبه ذهب الأسى ... بالناس حين أصابك البأساء
قلبي يذوب أسى على الطود الذي ... هزت قواعد بأسه اللأواء
ترنو إلى الأفق البعيد وقد خبا ... في الأفق هذا الكوكب اللألاء
وتجيب زفرتك الحزينة أمة ... محزونة فتعيدها الأصداء

حسنة كامل الصيرفي

لا يريدون أدبا .. والقراء مظلومون ، ففيهم الأدباء والمتأدبون ومن يحبون القراءة الأدبية ولو لم يكونوا أدباء ولا متأدبين

وتقدم إلى أولئك المشرفين على الصحف صنف من الشباب الأدعياء ببضاعة أقلها تافه ، وأكثرها قشور منزوعة من الآداب الأجنبية مع معالجتها بالتحوير والتشويه .. وهم يختارون لها العناوين المثيرة والصور المغرية ، ويتقبل رؤساء التحرير هذه البضاعة ليجتذبوا بها القراء

وهم في ذلك كمنتجي الأفلام والقصص التي يقدمونها ، بعضها كلام فارغ يؤلف هنا ، وكثير منها ممسوخ مما هناك . والمنتجون كرؤساء التحرير يبهر البريق أبصارهم ، وليس لهم بصائر ينفذون بها إلى جوهر الأدب والفن

ووراء كل ذلك أدب أصيل وملكات كامنة أشار إليها عميدنا في مقاله الثاني إذ استدل بما كتب الكاتبون تعقيبا على مقاله الأول على أن في أدبنا حياة كامنة تريد أن تظهر وخصبا مستمرا يريد أن يملأ الجو العقلي سمة ورخاء ، مستشهدا بقول ابن الرومي :

وكين الحريق في العود مخفى
وكين الوحيق في العنقود

ولا يحتاج ذلك الأدب المستتر إلا إلى من يبرزه ويثيب عليه وينظم العلاقات بين أصحابه وبين طلابه من القراء

« كتاب فهم الأرب » :

المؤلفات التي تتناول دراسة فن الأدب تستمد أصولها وقواعدها من أدبنا العربي الموروث في منثوره ومنظومه ، وتتحدث عن بلاغته بما رسمه الجاحظ وعبد القاهر

فأما أدبنا الحديث ، أدب القصة والمقالة وخطرات النفس في استجابتها للحياة ، فمازلنا نستمد أصوله ونتعرف ملامحه فيما كتبه أدباء الغرب ونقاده ، إذ نحن نقتبس تلك الألوان الأدبية من الفكر الغربي في نهضتنا الحاضرة ، ونعالج تجربتها وتمثيلها في طابعنا الشرقي وأدبنا العربي

وقد تجلت تلك التجربة وذلك التمثيل في بضعة كتب ظهرت من قبل ، منها « أصول الأدب » و « دفاع عن البلاغة » للأستاذ أحمد حسن الزيات بك ، و « فن القصص » للأستاذ محمود تيمور بك ، و « النقد الأدبي » للأستاذ سيد قطب ، ولعل هذه الأربعة هي المؤلفات التي يعتد بها في هذا المجال ، فيما أعرف كذلك غيرها

وهذا هو الأستاذ توفيق الحكيم بك يخرج لنا اليوم كتاب « فن الأدب » حافلا بالآراء والأفكار والاتجاهات التي تصور لنا معالم فن

كشكول الأسبوع

□ احتجت السفارة الفرنسية لأن السلطات المصرية منعت البروفيسور ويليه كابيتان ، الأستاذ بمدرسة الحقوق الفرنسية ، من الدخول إلى مصر ، واعتبرت ذلك عملا غير ودي . . أما منع السلطات الفرنسية مدير معهد فاروق بالجزائر من السفر إلى مقر عمله فهو عمل لا يخالف روح المودة في منطق الرقابة الفرنسية

□ وافق مؤتمر اتحاد البريد الدولي المنعقد في بروكسل على استعمال اللغة العربية إلى جانب اللغات الأوربية في النقاش بالمؤتمرات القادمة

□ جاء من دمشق أن مصلحة الآثار السورية أصدرت بيانا ذكرت فيه أنها كشفت في تدمر عن بناء مسرح مشيد على الطراز الروماني ووجدت بعض أجزاء البناء سليمة

□ أتمت مطبعة دار الكتب المصرية طبع الجزأين الثاني عشر والثالث عشر من كتاب « الأغاني » والفار على وشك إصدارها ، ومما يذكر أن الجزء الثالث عشر كان قد تم إعداده قبل الثاني عشر ولكن رئي تأخيره حتى لا يصدر قبل سابقه

□ قام الأستاذ أبو الفضل إبراهيم رئيس القسم الأدبي في دار الكتب ، ببحث وصل منه إلى أن الجزء الحادي والعشرين من كتاب الأغاني مواده كلها موجودة في مواطن متفرقة بأجزاء الكتاب الأخرى ، وعلى ذلك سيستغنى عنه في طبعة دار الكتب

□ وتصدر الدار قريبا الأجزاء ١٦ و١٧ و ١٨ من « نهاية الأرب » وقد رئي إصدارها معا لأنها في موضوع واحد وهو السيرة النبوية الكريمة

□ عثر القسم الأدبي أخيرا على نسخة من كتاب « نهاية الأرب » بخط مؤلفه « النويري » الذي كان ناظرا . ومن الغريب أن هذه النسخة كانت موجودة في دار الكتب ولم يرجع إليها في تحقيق ما أصدرته الدار من أجزاء الكتاب

الأدب ، أو الأدب الفنى ، بوحى مزاولته الخاصة ، وبطابعه الخاص

فى هذا الكتاب أكثر من سبعين فصلا فى اثنى عشر بابا ، مثل باب الأدب والفن ، والأدب والدين ، والأدب والمسرح ، والأدب والصحافة ، وهكذا إلى آخر الأبواب ، ولعل المتتبعين لما يجرى به قلم الحكيم يعرفون أن كثيرا من هذه الفصول سبق نشره ، على أنها فى هذا الكتاب الحافل ملتئمة الشمل ، مستكملة الجوانب ، منسقة تنسيق طاقات الأزاهير

وقد أجمل المؤلف رأيه فى الفن والأدب ، فى تلك الكلمة التى صدر به كتابه إذ يقول : « الأدب هو الكاشف الحافظ للقيم الثابتة فى الإنسان والأمة ، الحامل الناقل لمفاتيح الوعى فى شخصية الأمة والإنسان ، تلك الشخصية التى تتصل فيها حلقات الماضى والحاضر والمستقبل . والفن هو المطية الحية القوية التى تحمل الأدب خلال الزمان والمكان . والأدب بغير فن رسول بغير جواد فى رحلة الخلود ، والفن بغير أدب مطية سائبة بغير حمل ولا هدف . ولقد كان همى دائما محاولة الجمع بين الرسول وجواده . ولقد رأيت دائما الأدب مع الفن ، والفن مع الأدب ، لهذا سميت هذا الكتاب : فن الأدب »

وهذا الكتاب يجلو لنا شخصية الأستاذ « توفيق الحكيم » وانعكاس نظرته على الأدب والفن ، ولكن الميزة الكبرى فيه أن هذه الشخصية تعبير رائع عن روح شرقية صميمة فى نظرتها إلى مشكلات الحياة وقضايا الفن والأدب . وهو بهذه الميزة يرتفع عن أن يكون تكراراً أو اقتباساً لتلك الدراسات الأدبية المقررة بين الكتاب والنقاد الغربيين وغير الغربيين . وكثير من فصول هذا الكتاب لو ترجم إلى أية لغة أجنبية لبقيت له طرافته وجدته ، ولبقيت له دلالته على شخصية صاحبه « الحكيم » الأديب الشرقى الفنان

وقد حوى الكتاب — على ما فيه من جد كثير — فصولا هى إلى التفكيه والترفيه أقرب ، ولكنها تطوى الحكمة والعبرة ، ومن أجل هذه الفصول ذلك الفصل الذى تمثل فيه الأستاذ « الحكيم » أن « شكسبير » ظهر فى « مصر » اليوم ، مصريا ، لغته العربية ، وتراثه الأدب العربى ، ثم أخذ يفرش طريقه بالعوائق والمثبطات التى تعترض طريق الكاتب المصرى العربى الآن ، وختم ذلك الخيال اللطيف بقوله : « حقا لو ظهر « شكسبير » اليوم لكان فكره تبلبل ، وعقله تحير ، ولكان عمله أعسر ، وواجبه أكبر ، وعقباته أضخم ، ومجهوداته أضنى . ومن حسن حظه أنه ولد فى « إنجلترا » فى القرن السابع عشر ... »

عباس خضر

مختارات من الأدب الفرنسى

شعر ونثر

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد الفريدة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها

ثمنه ٢٥ قرشا عدا أجرة البريد

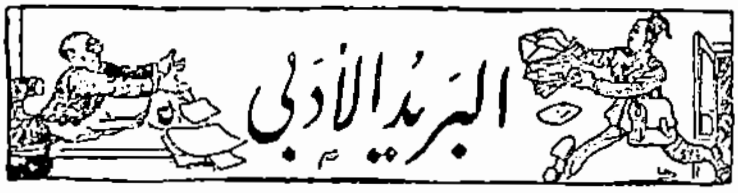

١ — البيتان للمتنبي

كنت أطالع كتاب « نديم الخلفاء » عن حياة الحسين ابن الضحاك المؤلفه الأستاذ عبد الستار أحمد فراج فلفت نظري في الصفحة ١١٧ هذان البيتان اللذان نسبهما المؤلف للخليع

بأبي من وددته فافترقنا ... وقضى الله بعد ذاك اجتماعا
فافترقنا حولا فلما التقينا ... كان تسليمه علي وداعا

فقد جاء في الصفحة (٢٧٩) من الجزء الثاني من التبيان شرح ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي البقاء العكبري أنهما المتنبي وقد قالها ارتجالا في صباه ..

وكذلك ورد في جميع دواوين المتنبي

فما هو قول الأستاذ فراج ومن أي المصادر استقى نسبة البيتين للخليع ؟ هذا ما أرجو أن يشير إليه، ولا يفوتني أن أقدم يدي للأستاذ أحمده على كتابه الممتع الطريف وبحثه الحلو الجديد مع إعجابي وتحياتي

٢ — الموشح لابن الخطيب

نسب الأستاذ عمر الدسوقي الأستاذ بكلية دار العلوم في الصفحة « ٤٤ » من الجزء الأول من كتابه « في الأدب الحديث » الطبعة الثانية الأبيات التالية من الموشح المشهور

جادك الغيث إذا الغيث هما ... يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلما ... بالكرى أو خلسة المختلس(١)

لابن سهل الإشبيلي عند كلامه عن العلم بطرس كرامة وشعره ، والحقيقة أن البيتين المذكورين هما من موشح الوزير « أبو عبد الله بن الخطيب » قاله معارضة لموشحة ابن سهل الأندلسي ومطلعها

هل درى ظبي الحمى أن قدحي ... قلب صب حمله فوق مكنس
فهو في حر ، وخفق مثلما ... لعبت ريح الصبا بالقبس

والموشحتان موجودتان بكاملهما في ديوان ابن سهل المطبوع في مصر سنة ١٩٢٨ هذا ما لفت نظري وأحببت أن أذكر به الأستاذ وفقه الله في مجال العلم والتأليف

٣ — إلى الأستاذ كامل كيلاني

قرأت أمس مقالك القيم المنشور في الصفحة « ١١٤٩ » من مجلة « الهلال » في العدد الخامس الذي أصدرته عن « أبي نواس » وقد جاء في مقالك « بين شوقي وأبي نواس » ما يلي :

« قالوا : إن أمير مصر ، أعجب بمعارضة شوقي للبوصيري في قصيدته التي أسماها « طراز البردة » بمناسبة حج الأمير إلى الأقطار الحجازية

وقد مر الأمير على دار شاعره — بعد عودته من الحج — فأعجب بما رآه من بديع الزينة التي افتن فيها شوقي ليظن احتفاءه بعودة سيده فقال له الأمير :

« يا شوقي لقد أعجبتني قصيدتك ، كما أعجبتني زينتك »

فقال شوقي الأبيات التالية

زين الملوك الصيد مر ببابي ... كرما ، وباب الله طاف ببابي
يا ليلة القدر التي بلغتها ... ما فيك بعد اليوم من مرتاب
ما كنت أهلا للنوال وإنما ... نفحات أحمد فوق كل حساب
لما بلغت السؤل ليلة مدحه ... بعث الملوك يعظمون جنابي
بدران : بدر في السماء منور ... وأخوه فوق الأرض نور رحابي

ثم

هذا ابن هانئ نال ما قد نلت من ... حسب تدل به على الأحساب
قد كان يسعى للرشيد ببابه ... فسعى الرشيد إليه وهو ببابي

هذه الأبيات فقط هي التي ذكرتها من الشوقية الخالدة .. فهل لك يا سيدي وأنت المعجب بأميرنا الخالد أن تزف إلى عشاق شعره القصيدة بأكملها .. نحن ننتظر منك هذا الأثر القيم على صفحات الرسالة الزاهرة .. فهل نحن بالمأمون ما نريد

عبد القادر رشيد الناصري

(١) ورد عجز البيت في الديوان على هذه الصورة (في الكرى أو خلسة المختلس)

التسول أمام بيوت الله

إن الذي لا ريب فيه أن التسول في مصر قد أصبح حرفة من الحرف الثابتة الدعائم ، ومهنة من المهن التي لها قدرها وخطرها ، فلا تكاد تسير في شارع من الشوارع ، أو تخطو في ميدان من الميادين ، أو تضع قدمك في مركبة من المركبات العامة حتى يفاجئك سيل لا ينقطع من المتسولين والمتسولات ، كل يدعي الحاجة أو يتصنع البؤس أو يزعم الفاقة

ولو أن قطمان التسول قد اقتصر نشاطها على الشوارع والميادين والمركبات العامة إذاً لهان الأمر ، ولكن هذه القطمان تأبى أن ترحم بيوت الله من بلائها ، وتصر على أن تزاحم المصلين بما كبها دون أن تتفضل ولو بذرة واحدة من الحياء والخجل ..

إنا حين نمر بمسجدهم كمسجد الحسين أو مسجد السيدة زينب أو مسجد الإمام الشافعي بالقاهرة مثلا ، وحين نمر بمسجد أبي العباس والأباصيري بالإسكندرية ، وغير هذه المساجد في المدن الكبرى، لابد أن تقع أعيننا على قطمان التسول وقد اتخذت عتبات هذه المساجد أوكارا تنفث منها سمومها على المصلين في كل وقت من ليل أو نهار

وكأن المسئولين في مصر لا يكادون يفهمون أن هناك أجانب يزورون مصر ؛ ويقصدون المساجد الكبيرة بالذات ، ويعودون إلى بلادهم وفي مخيلتهم صورة فظيعة لفوضى التسول في مصر ، وإلا فلم يغضون الطرف عن هذه الوصمة التي تلطخ جبين الوطن بالعار ! إننا نرى هذه المناظر المنكرة فنتميز من الغيظ ، وتمتزج في صدورنا الآلام والحسرات : ولكنا لا نستطيع أن نفعل شيئا لأننا لا نملك من الأمر شيئا

إذا كان ولاة الأمور يعجزون عن أن يطهروا مصر بأسرها من وصمة التسول ، فلا أقل من أن يصونوا بيوت الله منها ليحفظوا عليها جلالها ووقارها !

وهل الاسكندرية نفيسة عبد اللطيف الشيخ

عبير الناس :

بات كثير من الناس يخشون بعضهم كخشية الله أو أشد خشية ، ويحرصون على إرضائهم وطاعتهم أكثر من حرصهم على إرضاء الله وطاعته .. مما زعزع إيمانهم ، وأوهن عقائدهم ، فاعتقدوا أن مصيرهم مرتبط بمصير هؤلاء الذين يخشون .. وأن حياتهم رهن إرادتهم ، إن شاءوا أسعدوهم ورفعوا درجاتهم ، وإن شاءوا نبذوهم فطردوا من جنة الخلد التي يوعدون ! ..

ما زال بيننا الكثيرون من عبدة الأصنام .. وأعتقد أنني أسيء إلى عبدة الأصنام إذا شبهت هؤلاء المارقين بهم .. يؤلهون الأشخاص ، ويكادون يعبدونها من دون الله ، ويخرون لها سجدا ! ..

نسوا الله فنسيهم ، وأنساهم أنفسهم ، ونضب معين التقوى من قلوبهم ، وزلزل الخوف أوصالهم ، يمشون في ركاب ذوي الجاه ، ويوقفون كل جوارحهم على طاعتهم ، يزينون لهم القبيح ويقبحون لهم الطيب ، مردوا على النفاق ، تعرفهم بسيماهم ، وبأساليبهم ، يخادعون الله ويخادعون الناس ، ويحسبون أنهم مهتدون ! ..

يعبدون الله على حرف ، يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم ، إذ يبيتون مالا يرضى من القول ، ولو أنهم خشوا ربهم كخشيتهم أنفسهم لاستقامت أمورهم ، وانصلح حالهم ، والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ! .

عجباً لهم ، أيخشون الناس والله أحق أن يخشوه ! .

أين هم من الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ، لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم ..

عيسى سترلى
بنك مصر القاهرة

خمسة أعوام فى عذاب

عن الإنكليزية

ليس فى وسع إنسان مهما يكن شعوره بالفضل وبالترفع أن يفاخر بأنه لا يعبأ بالمثيرات وبدوافع الشر أو بأنه يحتقرها . فالإنسان لا يعرف كم تتغير نفسه تحت أحكام المؤثرات

وإنى لأروى على سبيل الاستشهاد على صدق هذه النظرية القصية الآتية التى سمعتها من أحد رجال البوليس السرى فى لوندرا

ماتت زوجة تاجر غنى لم يكن له إلا ولد واحد ، فتزوج من أرملة فى منتصف العمر . وكان ابنه شابا فلم يرض عن هذه الزوجة . وكان يشتغل فى غير المدينة التى فيها أبوه ، فامتنع من مراسلته بعد هذا الزواج . ولكن الأب كان راضيا بهذا الثمن ، وهو غضب ابنه فى مقابل لذته هو واستمتاعه مدة العام الذى بدأ بالزواج وانتهى بوفاته

ولأسباب لم تظهر قط كان الجزء الأخير من هذا العام كله ريبة وسوء ظن ودسائس فى هذا البيت ، لأن الخدم الثلاث كن يرتبن فى مقاصد الزوجة . وكانت أقدمهن وقد قضت فى خدمة المنزل بضعة أعوام تعد نفسها فى موضع الجاسوس على كل أعمال الزوجة . وقد كانت تنصت فسمعت زوجها يتوعدها عدة مرات بأن يغير الوصية ويحذف منها اسمها بتاتا . فكانت تجيبه بأنها تجد الفقر أخف عبئا من معاشرته على وفرة غناه

وكانت تلك الخادم تستدعى زميلتيها ليسمع ثلاثتهن مثل هذا الوعيد . وقد فهمن جميعا علة الخلاف بين الزوجين . فلما مات الرجل انتظرن أن تكشف الوصية لهن عن جلية أمر الخلاف

وقد كانت دهشتهن عظيمة عندما جاء المحقق وتبين أن الوصية تحرم ابنه من الميراث وتعطى الزوجة ألفى جنيه فى كل عام وهى كل إيراده طول حياتها

وكان من الطبيعي أن تشعر الزوجة بالراحة والاطمئنان عند ما صارت مالكة لهذا الإيراد . وزالت الحزازة التى كانت تشعر بها أيام حياته . وبعد يومين من الوفاة جلست أمام مكتبها تكتب الردود على التعازى .. وقد فرغت سريعا من هذا الواجب ثم أخذت تقلب أوراق زوجها وهى لا تزال مبتسمة . ولكنها لم تكد تقرأ اثنى عشر سطراً حتى قطبت جبينها وعرتها رهشة ، لأن الذى كانت تقرؤه إنما هو النص الأخير لوصية زوجها ؛ وهو يحرمها كل شئ ويهب تركته كلها لابنه . وكان تاريخ هذا النص قبل أسبوع واحد من الوفاة ، وعلى الوصية توقيعات شهود من الأحياء . فجلست تفكر فيما سيؤول إليه أمرها لأن البقية الباقية من ذلك العمر ستكون حياة فقر مدقع . ولذلك كان الاغراء الذى تجد نفسها تحت تأثيره قويا جدا ، فهو ليس بين الشرف وبين انعدامه ، ولكن بين الغنى وبين الفقر . وكان عمرها إذ ذاك خمسين عاما وهى لا تستطيع التكسب بوجه من الوجوه . ورأت أنه إذا لم يكن أحد ليذيع أمر هذه الوصية فلماذا لا تلزم الصمت ؟

وحملت الوصية فى يدها ومشت إلى الموقد ولكنها وجدته خالياً . وكانت من قبل ذاهلة عن ذلك وعن أن الليل كان قد انتصف . وكادت تمزق الوصية ولكن الخادم فى هذه اللحظة دخلت ووقفت واجمة فسألتها : « ماذا تريدين ؟ »

ابتسمت الخادم ولم تجبها فقالت : « ما الذى تعدين ؟ »

فحاولت المرأة أن تضحك ولكنها لم تستطع . وقبل أن تتحرك أية حركة كانت الخادم قد اختطفت من يدها الورقة التى ستتركها فى فقر مدقع فصرخت تلك صرخة يأس ، وحاولت أن تسترد الوصية

وعلى الرغم من التفاوت فى السن فإن الخادم كانت أقوى المرأتين فاستطاعت التغلب على سيدتها . وتلت الوصية فى هدأة ثم قالت بعد الفراغ من ذلك : « لقد فهمت الآن »

قالت الأرملة : « لقد وجدت هذه الورقة منذ دقيقة فقط وأردت أن ... » فقالت الخادم مقاطعة : « أردت أن تحرقيها لو كان فى الوقد نار »

ثم مضت فترة صمت قالت بعدها الخادم : « من حسن حظك أنى أكره المستر وليم ابن سيدى المرحوم ، فإذا سلكت مسلكا حكيما فإنه لن يعلم أحد بأمر هذه الوصية »

سمعت المرأة هذه الكلمات فثلجت صدرها لأنها كانت شديدة الخوف من الفقر ، فاستدعت الخادم وأجلستها بجانبها وعرضت عليها اقتسام الثروة بينهما وأن تدفع لها ألف جنيه مقدما

فلما تم الاتفاق على ذلك قالت الأرملة : « والوصية ؟ هل تمزقينها » فقالت الخادم : « كلا بل ستبقى معى إلى الأبد »

ورأت الأرملة أن خادمتها لا تقبل المناقشة فى الأمر فأذعنت. ومن ذلك اليوم أصبحت الخادم هى السيدة الحقيقية فى المنزل فبدأت بطرد سائر الخدم واختارت آخرين ؛ وكان ثانى عمل أتته أن أحضرت ابنها إلى المنزل وأطلقت عليه لقب السكرتير لتلك الأرملة فكان يلازمها فى الصباح وفى المساء

صارت الحياة مؤلمة فى نظر السيدة لأنها أصبحت تشعر بعد إخفاء الوصية بأنها ارتكبت جريمة منكرة وبأنها بانفاقها مع الخادم قد وضعت نفسها فى مركز ذليل ، ولكنها احتملت حالتها خمسة أعوام فى صمت ؛ وفى بدء العام السادس ذهب الخدم ليقدموا الشاى إلى كبيرتهم التى يعرفونها أنها السيدة الحقيقية فعادوا يصرخون ويعلنون أنها ماتت

وظنت الأرملة أن الحظ عاد إلى الابتسام ؛ ولكن سرعان ما أخفق أملها لما أمرت ابن تلك الخادم بأن يترك خدمتها فتذكر لها وهددها بإظهار الوصية

ولما رأت أن حالة الذل ستبقى كما هى بل ستزداد لأن خضوعها لهذا الرجل سيكون أشد إيلاما لنفسها من خضوعها لأمه — لما رأت ذلك ملكها اليأس وذهبت إلى إدارة البوليس ؛ ولكن جهلها بالقانون جعل رجل البوليس يضحك منها لأن الوصية التى تخشى شرها قد بطل مفعولها بعد وفاة ابن زوجها عن غير وارث وأصبحت هى من تاريخ الوفاة مالكة للتركة

كانت إذن فى الأعوام الثلاثة الأخيرة تقبل الذل خشية من ظهور وصية تجعلها هى المنفردة بالمال

ع . ا

مصلحة البلديات

تقبل العطاءات بمصلحة البلديات (بوستة قصر الدوبارة) الغاية ظهر يوم ١٥ / ٧ / ١٩٥٢ عن عملية دهان صهريج المياه العالى بدسوق

وتطلب الشروط والمواصفات من المصلحة على ورقة تمغة فئة الخمسين مليما مقابل دفع مبلغ ٢٠٠ مليما خلاف أجرة البريد وكل عطاء غير مصحوب بتأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ لا يلتفت إليه

١٨٤٩

مصلحة البلديات

تقبل العطاءات بمجلس مدينة بره القروى حتى ظهر ٢٥ يوليه سنة ١٩٥٢ عن عملية إصلاح السلخانة

وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة تمغة فئة ٥٠ مليما نظير مبلغ ٢٠٠ مليما للنسخة بخلاف أجرة البريد وكل عطاء لا يرفق به تأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ من قيمته لا يلتفت إليه

١٨٣٠

ظهرت الطبعة الرابعة الجديدة

للمجلد الأول من كتاب

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق سفيل وقد بلغت عدد صفحاته خمسمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه اربعون قرشاً عدا أجرة البريد

سكك حديد الحكومة المصرية

بمناسبة رفع حظر التجول بمدينة القاهرة ابتداء من ٢٥ مايو ولغاية ٢٥ يونية سنة ١٩٥٢ ستسير جميع القطارات وفقا لمواعيدها المدرجة بجدول فصل الصيف فيما عدا القطارات الآتية : —

أولا — لاتسير قطارات الديزل والإكسبريس المبينة بعد : —

٩٣١ و ٩٣٠ بخط مصر — الإسكندرية

٩٣٣ و ٩٣٢ بخط مصر — بور سعيد

٩٦١ و ٩٦٠ بخط مصر — المنصورة

٩٦٣ و ٩٦٢ بخط طنطا — المنصورة

٩٣٩ و ٩٤٠ بين مصر ودمياط

٩٦٧ و ٩٦٨ بين كوبرى الليمون والسويس

ثانيا — ١٢٥ و ١٢٤ يبطل مسيرهما بين مصر والقناطر الخيرية من يوم ٢٥ يونية سنة ١٩٥٢

ثالثا — تسير قطارات الاكسبريس المقرر مسيرهما بخط مصر — بنها — بور سعيد بين مصر والزقازيق فقط

المدير العام

سيد عبد الواحد